الدار الآخرة

أي الصنفين تحب أن تكون



الشيخ ندا أبو أحمد

الــدَّارُ الآخِــرَةُ

(٣٤)

أيُّ الصِنفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

للشيخ / ندا أبو أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الدَّارُ الآَخِرَة

أَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْنْ؟!

تمهيد

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله..........

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } [سورة آل عمران: ١٠٢]

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [سورة النساء: ١]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا{٧٠} يُصْلِحْ لَكُمْ أعمالكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [سورة الأحزاب:٧٠-٧١]

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـــ تعالى ـــ وخير الهدي هدي محمد - رحمه الله -، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

الله تعالى لم يخلق الناس عبثاً، ولن يتركهم سُدى، قال تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ{١١٥} فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} [المؤمنون: ١١٥-١١٦]
وقال تعالى: {أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى } [القيامة:٣٦]
فهل يظن عاقل أن يُترَك الإنسان في هذه الدنيا لا يُؤمر ولا يُنهى، ويُتْرَك في قبره سدى دون أن يُبْعَث؟ ويُتْرَك في الآخرة دون أن يُحاسَب؟! إن ذلك لا يليق بحكمة الله، فكل شيء يصدر منه سبحانه له حكمة تقتضيه. (فتح القدير للشوكاني: ٣٤٢/٥) بتصرف

وتقتضي حكمة الله وعدله أن يبعث الله عباده ليجزيهم بما قدموا، فالله خلق الخلق لعبادته، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب لبيان الطريق الذي يعبدونه به، فمن العباد مَن استقام على طاعة الله، وبذل نفسه وماله في سبيل ذلك، ومنهم مَن رفض الاستقامة على طاعة الله، وطغى وبغى، قال تعالى:
{مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ}[آل عمران:١٥٢] بعد ذلك أن يموت الصالح والطالح ولا يجزي الله المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته؟ {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ{٣٥} مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} [القلم:٣٥-٣٦]
إن الكفرة الضالين هم الذين يظنون أن الكون خُلق عبثاً وباطلاً لا لحكمة، وأنه لا فرق بين مصير المؤمن المصلح، والكافر المفسد، ولا بين مصير التقي والفاجر {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ {٢٧} أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} [ص: ٢٧-٢٨].
إذاً الاستدلال باختلاف أحوال الناس في هذه الحياة على فعل الخير والشر والصلاح والفساد، يدل على وجود حياة أخرى يُجزى فيها كل عامل بما قدَّم من خير أو شر، فليس من العدل أن يموت الظالم والمظلوم دون حساب ولا جزاء، فلابد من عودة الحياة ليُجزَى كل إنسان بما عمل من خير أو شر، وترد الحقوق إلى أهلها، ويقتص من الظالمين، ويجازى المؤمنين بأعمالهم، كما يحاسب الكافرين على كفرهم، والعصاة على عصيانهم.
قال تعالى: {إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللّهِ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ} [يونس:٤]. اهـ

(القيامة الكبرى للدكتور عمر سليمان الأشقر - رحمه الله - بتصرف واختصار)

أحبتي في الله... كان الناس متساوون في الدنيا ظاهرياً، سواء المؤمن والكافر، والصالح والطالح؛ فهم يرزقون ويسيرون ويذهبون ويجيئون، والله - رضي الله عنها- يعطي فيها المؤمن والكافر، والعاصي والمطيع؛ لأنه سبحانه يعطيها لمن يحب ولمن لا يحب، لكن عندما ينزل بهم الموت لا يستوي المؤمن والكافر، ولا المحسن والمسيء، ففي هذه اللحظة، لحظه خروج الروح يظهر الفرقان، ويفترق الطريقان، ويمتاز الفريقان.
وصدق الله ﷻ حيث قال: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَّن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ } [الجاثية:٢١]

فتعال أنا وأنت لنرى حال مَن خالف مولاه واتبع هواه، وحال من اتبع مولاه وخالف هواه، وقبل الحديث عن هذين الصنفين نلاحظ في كثير من الآيات القرآنية أن رب البرية يقابل بين نعيم أهل الجنَّة، وعذاب أهل النار، وهذا له وقع في القلب وتأثير على النفس، قال تعالى:{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ} [محمد: ١٥].

وقال تعالى: {مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ} [الرعد:٣٥]

وقال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ{٢} عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ{٣} تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً{٤} تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ{٥} لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ{٦} لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ{٧} وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ{٨} لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ{٩} فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ{١٠} لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً{١١} فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ{١٢} فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ{١٣} وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ{١٤} وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ{١٥} وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ} [الغاشية:٢-١٦]

وقال تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ{١٠٦} وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [آل عمران: ١٠٦- ١٠٧]

وقال تعالى: {أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللّهِ كَمَن بَاء بِسَخْطٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ{١٦٢} هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللّهِ واللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} [آل عمران:١٦٢- ١٦٣]

وقال تعالى: {وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ{٢٧} فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ{٢٨} وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ{٢٩} وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ{٣٠} وَمَاء مَّسْكُوبٍ{٣١} وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ{٣٢} لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ{٣٣} وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ{٣٤} إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء{٣٥} فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً{٣٦} عُرُباً أَتْرَاباً{٣٧} لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ{٣٨} ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ{٣٩} وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ{٤٠} وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ{٤١} فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ{٤٢} وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ{٤٣} لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ{٤٤} إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ{٤٥} وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ{٤٦} وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ{٤٧} أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ{٤٨} قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ{٤٩} لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ{٥٠} ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ{٥١} لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ{٥٢} فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ{٥٣} فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ{٥٤} فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ{٥٥} هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ} [الواقعة:٢٧- ٥٦]

وقال تعالى: {فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ{٣٣} يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ{٣٤} وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ{٣٥} وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ{٣٦} لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ{٣٧} وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ{٣٨} ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ{٣٩} وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ{٤٠} تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ{٤١} أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ} [عبس:٣٣ - ٤٢]

وقال تعالى:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ{٢٢} إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ{٢٣} وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ{٢٤} تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ}[القيامة:٢٢ — ٢٥]

وقال تعالى: {يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ{١٠٥} فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ{١٠٦} خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ{١٠٧} وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ} [هود:١٠٥-١٠٨]

وصدق الله حيث قال: {لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ} [الحشر: ٢٠]

وعلى نهج القرآن نسير، ففي هذه الرسالة أعقد مقارنة بين أهل السعادة الذين يريدون الآخرة، وأهل الشقاء الذين رضوا بالدنيا منذ اللحظة الأولى لخروج الروح، وانتهاءً بنزول كل منهما مثواه الأخير؛ لترى أخي الحبيب مدى النعيم المقيم الذي يتنعم فيه أهل السعادة، وترى كذلك مدى العذاب الأليم الذي يلقاه أهل الشقاء، ولتعقد مقارنة بينهما، وتختار أَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

أولاً: خـــروج الــروح

- الصنف الأول: أهل السعادة

١) تُسلِّم عليهم الملائكة عند خروج أرواحهم وتُبشِّرُهم بالجَنَّة:

قال تعالى: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [النحل: ٣٢] طيبة نفوسهم بلقاء الله، ومعافين من الكرب وعذاب الموت، يقولون: {سَلَامٌ عَلَيْكُمُ}؛ طمأنة لقلوبهم، وترحيباً بقدومهم {ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}؛ تعجيلاً لهم بالبشرى، وهم على أعتاب الآخرة؛ جزاء وفاقاً على ما كانوا يعملون. (الظلال:٤/٢١٦٩)

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ{٣٠} نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ} [فصلت:٣٠-٣١]

وقوله تعالى: {نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}أي: تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: "نحن كنا أولياؤكم، أي: قرناؤكم في الحياة الدنيا، نُسدِّدكم ونُوفِّقكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة، نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنت النعيم".

٢) تأتيهم الملائكة فى صورة حسنة، معهم كفن من الجَنَّة وحنوط من الجَنَّة:

فقد أخرج الإمام أحمد عن البراء بن عازب ﷺ أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

"إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة؛ نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجَنَّة، وحنوط [1] من حنوط الجَنَّة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه، فيقول: يا أيتها النفس الطيبة – وفي رواية: يا أيتها النفس المطمئنة – اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِيّ السقاء فيأخذها".

---

(١) حَنوط: بفتح الحاء، ما يُخْلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصة.

٣) تُبشِّرُهم الملائكة بالروح والريحان، ولقاء الرب وهو غير غضبان:

فقد أخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

"إن الميت يحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح، قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان، وربٍّ غير غضبان، قال: فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يُعْرج بها إلى السماء، فيُستَفْتح لها، فيُقال: مَن هذا؟ فيقال: فلان؛ فيقولون: مرحباً بالروح الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان، قال: فلا يزال يقال لها ذلك؛ حتى يُنْتَهى بها إلى السماء التي فيها الله ﷻ"

٤) تخرج أرواحهم كأطيب ريح مسك وجدت على وجه الأرض:

فقد أخرج ابن أبي شيبة (١٣/٢٨٤) والبيهقي وأبو نعيم في "الحلية" عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: "تخرج روح المؤمن وهي أطيب ريحاً من المسك، فتصعد بها الملائكة الذين يتوَفَّونها، فتلقاهم ملائكة دون السماء، فيقولون: مَن هذا الذي معكم؟ فيقولون: فلانٌ ويذكرونهُ بأحسن عمله، فيقولون: حيَّاكم الله وحيَّا من معكم، فتُفْتَح له أبواب السماء، فيُصْعَدُ به، من الباب الذي كان يصعد عملُه منه؛ فيشرق وجهه فيأتي الرب، ولوجهه برهانٌ مثل الشمس"

٥) تقبض أرواحهم فى حريرة:

فقد أخرج البزار عن أبي هريرة ﷺ عن النبي – رحمه الله – قال

"إن المؤمن إذا احتضر؛ أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر ريحان، فتُسلُّ روحه كما تُسلّ الشعرة من العجين، ويقال: أيتها النفس المطمئنة اخرجي راضية مرضياً عنك، إلى روح الله تعالى وكرامته، فإذا خرجت روحه، وُضِعَت على ذلك المسك والريحان، وطُويت على الحريرة، وذُهِبَ به إلى عليين".

٦) تنادي عليهم الملائكة بأحسن أسمائهم التي كانوا يُـــنَادون بها في الدنيا:

فقد أخرج النسائي في "المجتبى والكبرى" وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة ﵁ قال:

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "إن المؤمن إذا قُبِض أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون: اخرجي راضية مرضياً عنك، إلى روح الله تعالى وريحان، ورب غير غضبان؛ فتخرج كأطيب ريح المسك؛ حتى إنه ليناوله بعضهم بعضاً، فيُسمُّونه بأحسن الأسماء له؛ حتى يأتوا به باب السماء، فيقولون: ما أطيب هذه الريح، التي جاءت من الأرض؟! كلما أتوا سماءً، قالوا: ذلك حتى يأتوا به أرواح المؤمنين، فهم أفرح به من أحدكم بغائبه إذا قَدِمَ، فيسألونه: ما فعل فلان؟ فيقولون: دعوه حتى يستريح، فإنه كان في غم الدنيا، فيقول: قد مات، أما أتاكم؟ فيقولون: ذُهِبَ به إلى أمه الهاوية"

(قال الألباني في "الصحيحة" (٣/٢٩٣): "صحيح الإسناد"، وقال شعيب الأرناؤوط: "إسناده صحيح على شرط الشيخين")

- الصنف الثاني: أهل الشقاء

١) عند قبض أرواحهم تضربهم الملائكة على وجوههم وأدبارهم بمقامع من حديد:

قال رب العالمين واصفاً حال خروج روح العصاة والكافرين: {وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ{٥٠} ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ}[الأنفال:٥٠-٥١]

٢) وتأتيهم الملائكة فى صورة مخيفة، وتقبض أرواحهم في مسوح:

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن البراء بن عازب ﵁ أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

"وإن العبد الكافر – وفي رواية: الفاجر- إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة؛ نزل إليه من السماء ملائكة [غلاظ شداد]، سود الوجوه معهم المسوحُ [1] [من النار]، فيجلسون منه مدَّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول، أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده، فينتزعُها كما ينتزع السفود [2] [الكثيرُ الشعب] من الصوف المبلول، فتُقطَّعُ معها العُروقُ والعصبُ".

(١) المِسوح: جمع المِسح (بكسر الميم)، وهو ما يلبس من نسيج الشعر على البدن؛ تقشُّفاً وقهراً للبدن.

(٢) السَّفُّودُ والسُّفُّودُ: حديدة ذات شُعبٍ مُعَقَّفَةٌ – اي ملتوية معوجة يشوى به اللحم.

٣) تُبشِّرُهم الملائكة بما يسوءهم:

فقد أخرج ابن ماجه والإمام أحمد من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:

"وإذا كان الرجل السوء قال: اخرجي أيتها النفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق، وآخر من شكله أزواج [1]، فلا يزال يُقالُ لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء، فلا يفتح لها، فيقال: مَن هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة؛ فإنها لا تفتح لك أبواب السماء، فيُرسلُ بها من السماء ثم تصير إلى القبر". (حسنه الألباني في "تخريج المشكاة":١٦٢٨)

٤) تخرج أرواحهم كأنتن جيفة وُجدت على وجه الأرض:

فقد أخرج النسائي وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:

"وإن الكافر إذا اُحتُضر أتته ملائكة العذاب بِمِسْح[2]، فيقولون: اخرجي ساخطة مسخوطاً عليك؛ إلى عذاب الله ﷻ، فتخرج كأنتن ريح جيفة، حتى يأتون به باب الأرض، فيقولون: ما أنتن هذه الريح، حتى يأتون به أرواح الكفار". (السلسلة الصحيحة:٣/٢٩٤)

– وعند مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أيضاً أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

"وإن الكافر إذا خرجت رُوحُهُ – قال حماد[3]: وذكر من نتنها، وذكر لعناً – ويقول أهل السماء: روح خبيثة جاءت من قِبلِ الأرض، قال: فيُقالُ: انطلقوا به إلى آخر الأجل[4]"

قال أبو هريرة ﷺ: فردَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ريطةً [5] كانت عليه على أنفه هكذا.

(١) وآخر من شكله أزواج: أي وأشياء من هذا القبيل، وصور أُخَر من صور العذاب على هذه الشاكلة.

(٢) المِسْح: كساء من شعر، وقد مرَّ بنا معناه.

(٣) هو حماد بن زيد (راوي الحديث).

(٤) "إلى آخر الأجل": أي إلى "سِجِّين"، فهي منتهى الأجل، ويحتمل أن المراد: إلى انقضاء أجل الدنيا. (قاله القاضي كما في "شرح مسلم": ٢٠٥/١٧).

(٥) قال النووي: "الرَّيطة": هي ثوب رقيق، وقيل: هي ملاءة، وكان سبب ردِّها على الأنف؛ بسبب ما ذكر من نتن ريح روح الكافر.

٥) تنادي عليهم الملائكة بأقبح أسمائهم:

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد: "إن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة... إلى أن قال النبي – رحمه الله –: فيصعدون بها فلا يمرُّون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: لفلان بن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يُسمَّى بها في الدنيا؛ حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا؛ فيُسْتَفْتح له فلا يُفْتَحُ له، ثم قرأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:{لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ} [الأعراف:٤٠]"

وقـــفـــة: فلهذا ولغيره تجد أن المؤمن عند خروجه يحب لقاء الله، أما الكافر الفاجر عند خروج روحه فلا يحب لقاء الله

فقد أخرج البخاري عن عبادة بن الصامت ﷺ عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

"مَن أحب لقـــاء الله؛ أحبَّ الله لقـــاءه، ومَن كره لقاء الله؛ كرِه الله لقاءه، قـــالت عائشة: إنَّا لنكره الموت، قال: ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه ممَّا أمامه، فأحبَّ لقاء الله وأحبَّ الله لقاءه، وإن الكافر إذا حُضِر بُشِّر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكرِه لقاء الله، وكرِه الله لقاءه"

فانظر بعيني قلبك إلى حال الصنفين: صنف تُسلِّم عليه الملائكة عند خروج روحه وتُبشِّره بالجَنَّة، وتأتيه في صورة حسنة معهم كفن من الجَنَّة وحنوط من الجَنَّة، وتُبشِّره الملائكة بالروح والريحان ولقاء الرب وهو غير غضبان، وتخرج روحه كأطيب ريح مسك وجدت على وجه الأرض، وتقبض روحه في حريرة، وتنادي عليه الملائكة بأحسن أسمائه التي كان يُنادَى بها في الدنيا... وهناك صنف آخر من الناس تضرب الملائكة وجهه ودبره عند قبض روحه من مقامع من حديد، وتأتيه الملائكة في صورة مُخيفة، وتُبشِّرُه بما يسوءه، وتخرج روحه كأنتن جيفة وُجدت على وجه الأرض، وتقبض روحه في مسوح، وتنادي عليه الملائكة بأقبح أسمائه التي كان يُنادَى بها في الدنيا. فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

ثانياً: حمل الجنازة على الأعناق

فى هذا الموقف العصيب ينقسم الناس فيه أيضاً إلى صنفين، جاء ذكرهما فى الحديث الذي أخرجه البخارى من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:

"إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فـــإن كانت صالحة قالت: قدموني قدموني وإن كانت غير ذلك قالت: يا ويلها أين تذهبون بها، يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعه لصعق"

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟! هذا الذي يقول: قدموني قدموني لما يرى من الكرامة، أم هذا الذي يصرخ ويقول: " يا ويلها أين تذهبون بها؟ لما يرى من العذاب الذي ينتظره"

ثـــالــثـــاً: دخـــــول القبر

١- كـــلام الـــقـــبـــر لابــــــن آدم:

تخيل أخي الحبيب... إذا وضعك أبناؤك وأحباؤك في قبرك، وأغلقوا عليك فأحكموا الإغلاق، ثم تركوك وحيداً وانصرفوا عنك، وأنت تسمع قرع نعالهم، ذهبوا وتركوك، وفي التراب دفنوك، تركوك في هذا الجو المخيف المفزع، ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرجت يدك لم تكد تراها، ظلمة مخيفة، سكون قاتل، جو موحش، وفي هذا الجو الموحش، والسكون القاتل، والظلمة المخيفة، تجد مَن يُحدِّثُك ويُكلِّمُك، يا له من هول يشيب له الولدان، مَن المتكلم؟ إنه القبر... فإذا كان العبد صالحاً قال له القبر: مرحباً وأهلاً، وإذا كان عاصياً قال له القبر: لا مرحباً ولا أهلاً.

فقد أخرج الترمذي بسند فيه مقال عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

"دخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مُصَلَّاه، فرأى ناساً كأنهم يكتشرون[1]، قال: أما إنكم لو أكثرتم ذكر هادم اللذات لشغلكم عما أرى، فأكثروا من ذكر هادم اللذات — الموت – فإنه لم يأتِ على القبر يوماً إلا تكلَّم فيه، يقول: أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحدة، أنا بيت التراب، أنا بيت الدود، فإذا دُفِن العبد المؤمن قال له القبر: مرحباً وأهلاً، أما إن كنت لأحبَّ من يمشي على ظهري إلى فإذا وُلِيتُك اليوم وصِرتَ إلي؛ فسترى صنيعي بك. قال: فيتسعُ له مدَّ بصرِه، ويفتح له باب إلى الجَنَّة.

وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر، قال له القبر: لا مرحباً ولا أهلاً، أما إن كنت لأبغض من يمشي على ظهري إلي، فإذا وُلِيتُك اليوم وصِرتَ إلي؛ فسترى صنيعي بك..." الحديث

(ضعيف الجامع:١٢٣١)

وأخرج ابن المبـــارك بسند صحيح في "زوائد الزهد" لنعيم عن أسيد بن عبد الرحمن – رحمه الله – قال: "بلغني أن المؤمن إذا مات وحُمِلَ قال: أسرعوا بي، فإذا وُضِعَ في لحده كلَّمته الأرض فقالت له: إن كنتُ لأحبك وأنت على ظهري، فأنت الآن أحب إلي، فإذا مات الكافر وحُمِلَ قال: ارجعوا بي، فإذا وُضِعَ في لحده كلَّمته الأرض فقالت: إن كنتُ لأبغضك وأنت على ظهري فأنت الآن أبغض إليّ"

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

(١) يكتشرون: يضحكون، والكشر ظهور الأسنان للضحك.

٢) ضَمَّةُ القبر:

بينما الإنسان منَّا في هذه الدهشة وتلك الرهبة، لم يستفقْ من هذه الكربة وهذا الهول

وإذ بداهية أخرى تقع به حيث يجد جدران القبر تتحرك وتتقارب عليه، ويضيق القبر حتى يضمَّه ويضغط على جانبيه، وهذه الضغطة لا ينجو منها أحدٌ، صالحاً كان أو عاصياً، صغيراً كان أو كبيراً.

فقد أخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن عائشة- رضي الله عنها- أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:

"إن للقبر ضغطةً لو كان أحد ناجياً منها لنجا سعدُ بن معاذ " (صحيح الجامع: ٢١٨٠)

سبحان الله...!!

سعد بن معاذ ﷺ الذي قال عنه النبي – صلى الله عليه وسلم – كما عند النسائي من حديث ابن عمر – رضي الله عنه- :

"هذا الذي تحرَّك له العرش، وفُتِحَت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة، لقد ضُمَّ ضمةً ثم فُرِّج عنه" (قال الألباني في "مشكاة المصابيح": إسناده صحيح)

وفي هذا الموقف العصيب ينقسم الناس فيه إلى صنفين، أخبر عنهما النبي – صلى الله عليه وسلم – ففي الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن حبان بسند حسن عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "إذا قُبِر الميتُ – أو قال: أحدكم – أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر، والآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا. ثم يُفْسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم يُنوَّر له فيه، ثم يُقال له: نم. فيقول: أرجعُ إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: نم كنومةِ العروسِ الذي لا يُوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون، فقلت مثله، لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك. فيقال للأرض التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها مُعذَّباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك" فصنف من الناس يُفسَح له في قبره مد البصر، أو سبعون ذراعاً، وصنف آخر يُضيَّق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه.

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

٣- سؤال الملكين:

فقد جاء في "مسند الإمام أحمد" في حديث طويل عن البراء بن عازب ﷺ وفيه: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجَنَّة، وحنوطٌ(١) من حنوط الجَنَّة حتى يجلسوا منه مدَّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلسَ عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة - وفي رواية: المطمئنة - اُخرُجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيلُ كما تسيلُ القطرةُ من فِيّ السقاء (٢) ... إلى أن قال - رحمه الله -: "فيأتيه ملكان شديدا الانتهار؛ فينتهرانه ويجلسانه فيقولان له: مَن ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولون له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: ما عِلمُك؟، فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدَّقت، فينادي منادٍ من السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجَنَّة، وألبسوه من الجَنَّة، وافتحوا له باباً إلى الجَنَّة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مدَّ بصره"

ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "وإن العبد الكافر - وفي روية: الفاجر - إذا كان في انقطاع من الآخرة وإقبال من الدنيا، نزل إليه من السماء ملائكة غلاظٌ شدادٌ، سودُ الوجوه، معهم المسوح(٣) من النار، فيجلسون منه مدَّ البصر، ثم يجيء ملكُ الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اُخرُجي إلى سخطٍ من الله وغضب... إلى أن قال - رحمه الله -: "ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه، فيقولان له: مَن ربك؟، فيقول:

هاه هاه(٤)، لا أدري، فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه، فيقـــال: فيقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون ذاك، قال: فيقال: لا دريت ولا تَلَوْتَ (٥) ، فينادي منادٍ من السماء أن كذب عبدي، فافرشوا له من النار، وافتحوا له باباً من النار، فيأتيه من حرِّها وسمومها (٦)، ويُضيق عليه قبره حتى تختلف (٧) أضلاعه"

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

---

(١) الحَنُوطُ: طيب يُخْلَط للميِّت خاصّة.

(٢) تخرج من الجسد بسهولة كانسياب قطرة ماء من فم القربة أو الإناء.

(٣) جمع المِسح: (بكسر الميم) وهو ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفاً وقهراً للبدن.

(٤) هي كلمة تقال في الضحك وفي الإيعاد، وقد تقال للتَّوجُّع، وهو أليقُ بمعنى الحديث. والله أعلم. كذا في "الترغيب".

(٥) "لا دريت ولا تليت": قال ابن حجر في "الفتح" (٣/٢٣٩): "قال ثعلب: "أي لا فهمت ولا قرأت القرآن، ولا تبعت من يدري"

(٦) السَّمُومُ: الريح الحارة.

(٧) الخلاف: المضادة: "واختلاف الأضلاع" والله أعلم: تضادُّها: أي تصبح الضلوع اليمنى موضع اليسرى، واليسرى موضع اليمنى من شدة الضمَّة والعياذ بالله. والمعنى القريب لفهمي أن الخلاف هو تدخُّل الضلوع بعضها في بعض، ويشير لهذا ما فعله النبي عندما شبَّك بين أصابعه، والله أعلم. وهذا الحديث يدل علي أن العذاب في القبر يكون للروح والجسد؛ لأن الأضلاع من الجسد.

٤) دخول الجليس:

فعندما يفتح للرجل الصالح باب من النار ثم يغلق عنه، فيقال له: هذا مقعدك لو كنت عصيت الله، ثم يفتح له باباً إلى الجنَّة يرى مقعده، فيتمنَّى على الله أن تقوم الساعة، حتى يعود إلى منزله في الجنَّة، ثم يدخل عليه عملُهُ متمثلاً في صورة رجل أبيض الوجه، حسن الثياب، طيب الرائحة، ويُبشِّرُه بما يحب.

وأما مَن عاش لدنياه واتبع هواه وعصى مولاه، فهذا يُفتَح له باب إلى الجنَّة حتى يرى قصورها ويشمُّ عبيرَها ثم يغلق عنه، ويقال: هذا مقعدك لو كنت أطعت الله، ثم يُفتَح له بابٌ إلى النار ويقال: هذا مقعدك لأنك عصيت الله.

ثم يدخل عليه رجل أسود الوجه، قبيح الثياب، نتن الرائحة، فيقول له العبد في ألم وحسرة: من أنت؟! فيقول له: أنا عملك

يقول النبي – صلى الله عليه وسلم – عن الرجل الصالح كما في حديث البراء بن عازب ﵁:

"يمثل له رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرُّك، أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: وأنت فبشرك الله بخير، من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح..."

وأما العبد الذى عاش لهواه وخالف مولاه فيتمثل عمله فى صورة رجل أسود الوجه، خبيث الثياب، نتن الرائحة، كما أخبر بذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال على الرجل الكافر أو الفاجر:

"... ويمثل له رجلٌ قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: وأنت فبشرك الله بالشر من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله سريعاً إلى معصية الله، فجزاك الله شراً، ثم يُقيَّض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة[١]، لو ضرب بها جبل كان تراباً، فيضربه ضربةً حتى يصير بها تراباً، ثم يُعيدُه الله كما كان، فيضربه ضربةً أخرى، فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين[٢]، ثم يُفتح له باب من النار، ويمهدُ من فرش النار، فيقول: ربِّ لا تقم الساعة"

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

---

(١) ويقال لها أيضاً: "الأَرْزَبَّة": وهي المطرقة الكبيرة التي تكون للحدَّاد، وهي من حديد.

(٢) الثقلين: الإنس والجن.

رابعاً: النفخ فى الصور

عند النفخ في الصور النفخة الثانية يقوم الناس جميعاً لرب العالمين، كما قال تعالى:

{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ} [الزمر:٦٨]

فالكل سيقوم من القبور، والكل حضور يوم البعث والنشور ليفوز الشكور، ويُجازى الكفور، فذاك ذنبه مغفور، وسعيه مشكور، وهذا قد صار عمله كالهباء المنثور، وهو يدعو بالويل والثبور، قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ{٥١} قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا} [يس:٥١-٥٢]

وقال تعالى: {خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ{٧} مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ} [القمر:٧-٨]

وفي هذا الموقف العصيب ينقسم الناس إلى صنفين: صنف إذا سمع المنادي؛ يقوم من قبره طيب النفس نشيط، مشتاق إلى لقاء ربه، كما كان فى الدنيا يقوم طيب النفس نشيط إذا سمع النداء إلى الصلاة

- أضف إلى هذا أن القرآن يستقبله عند خروجه من قبره

فقد أخرج الإمام أحمد عن بريدة الأسلمي ﷺ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

"... وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول له: ما أعرفك، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيُعطى المُلْك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويُكسى والداه حلتين، لا يقوم لهما أهل الدنيا، فيقولان: بم كُسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ واصعد في درجات الجَنَّة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ هَذًّا [(١)] كان أو ترتيلاً" (قال الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب": إسناده حسن لغيره).

- وهناك صنف من الناس يقوم من قبره إذا سمع النداء كالمصروع الذي يتخبطه الشيطان من المسِّ، ويقوم خبيث النفس كسلان، كما كان في الدنيا حينما يسمع النداء للصلاة فلايلبي.

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

(١) هَذًّا: يعني سرعة القراءة.

خـــامــســـاً: الــحـــشــر

- الصنف الأول: أهل السعادة

١) يُحْشَرُون ركباناً:

قال تعالى: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً} [مريم: ٨٥].

{وَفْداً}: قال ابن عباس – رضي الله عنه- : أي "ركباناً".

وقال عليٌّ بن أبي طالب ﷺ: "ما يُحْشَرُون والله على أرجلهم، ولكن على نُوقٍ رحالها الذهب، ونجائب سرجها يواقيت، إن همُّوا بها سارت، وإن همُّوا بها طارت".

٢) يُحْشَرُون آمنون مطمئنون فَرِحُون:

فتراهم لا يخافون حينما يخاف الناس، ولا يفزعون حينما يفزع الناس.

قال تعالى: {مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ} [النمل: ٨٩].

وقال تبارك وتعالى: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ{٦٢} الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ{٦٣} لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [يونس: ٦٢-٦٤].

فقوله تعالى: {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا} هذا عندما تبشرهم الملائكة عند الاحتضار بالجنَّة؛

كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} [فُصِّلَت:٣٠].

أما البشرى في الآخرة، فهي عندما تتلاقهم الملائكة يوم الحشر، فتثبِّتُ قلوبهم وتُطمئنهم من الفزع الأكبر، كما قال تعالى: {لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ}[الأنبياء:١٠٣]

٣) يُحْشَرُون بيض الوجوه:

قال تعالى: { وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [آل عمران: ١٠٧].

وقال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ{٣٨} ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ} [عبس: ٣٨-٣٩].

{مُّسْفِرَةٌ} قيل: "مشرقة"، وقيل: "مضيئة"، وقيل: "مستنيرة"، وكلها متقاربة في المعنى، والاشتقاق اللغوي يدل على ذلك. (انظر لسان العرب: ٤/٣٦٩)

ونقل الطبري عن مجاهد أن قال: "إن النضرة من السرور والنعيم والغبطة". اهـــ

فنضرة وجوه المؤمنين يوم القيامة بسبب ما يجدونه من النعيم والسرور الذي أعدَّه الله لهم.

٤) يُحْشَرُون يوم القيامة وقد أظلَّهم الله في ظلّه يوم لا ظلَّ إلا ظلّه:

ففي هذا اليوم العصيب عندما تقترب الشمس فوق الرءوس بقدر ميل أو ميلين، فتصهر الناس إلا الأتقياء والذين ذكرهم النبي – صلى الله عليه وسلم – .

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:

«سبعةٌ يظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلهُ: إمامٌ عادلٌ, وشابٌ نشأ في عِبادةِ الله، ورجُلٌ قلبُهُ معلّقٌ بالمسجد إذا خرجَ منهُ حتَّى يعودَ إليه، ورجُلانِ تحابَّا في الله فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه، ورجُلٌ ذكرَ الله خاليًا ففاضت عيناهُ،

ورجُلٌ دعتهُ امرأةٌ ذاتُ منصب وجَمال، فقال: إني أخاف الله رَبَّ العالمينَ، ورجُلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلمَ شمالهُ ما تُنْفقُ يمينُهُ».

والإظلال في ظلِّه ﷻ ليس مقصورًا على السبعة المذكورين في الحديث، فقد جاءت نصوص كثيرة تدل على أن الله يظلُّ غيرهم، وقد جمع الحافظ ابن حجر – رحمه الله – الخصال التي يظل الله تعالى أصحابها في كتاب سمَّاه "معرفة الخصال الموصلة إلى الظلال

يا عَرْشُ تحت ظِلِّكَ الحبيب　　　　يا ليت لي في الظِّل من نصيب

٥) تمُرُّ عليهم الخمسين ألف سنة كمقدار ما بين صلاتي الظهر والعصر :

فقد أخرج الحاكم في "المستدرك" عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:

«يومُ القيامة على المؤمنين كَقَدْرِ ما بين الظهر والعصر» (الصحيحة:٢٤٥٦)،(صحيح الجامع: ٨١٩٣)

– بل جاءت بعض الروايات لتوضح أن هذا اليوم العصيب يمرُّ على المؤمنين كقدر ساعة

فقد أخرج ابن حبان عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنه– عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

«تجتمعون يوم القيامة، فيقال: أين فقراء هذه الأُمَّة؟ قال: فيقال لهم: ماذا عملتم؟ فيقولون: ربنا ابْتَلَيْنا فصبرنا، ووليت الأموال والسلطان غيرنا، فيقول الله ﷻ: صدقتم، قال: فيدخلون الجَنَّة قبل الناس، وتبقى شدة الحساب على ذوي الأموال والسلطان، قال: قالوا: فأين المؤمنين يومئذ؟ قال: توضع لهم كراسي من نور، وتظلل عليهم الغمام؛ يكون ذلك اليوم أقصر على المؤمنين من ساعة من نهار»

وقد قال تعالى: {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً} [الفرقان: ٢٤]

٦) يأكل المؤمنين في أرض المحشر ويشربون:

فالله ﷻ قد أعدَّ للمؤمنين نُزلاً في أرض المحشر قبل أن يدخلوا الجَنَّة، حيث يطعمهم ويسقيهم، حتى لا يجدوا شيئًا من جوع هذا اليوم وعطشه

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال رسول الله- رحمه الله -:

«تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفؤها الجبار بيده كما يكفؤ أحدكم خبزته [١] في السفر، نزلاً[٢] لأهل الجَنَّة، قال: فأتى رجل من اليهود، فقال: بارك الرحمن عليك أبا القاسم، ألا أخبرك بنُزُل أهل الجَنَّة يوم القيامة؟ قال: بلى. قال: تكون الأرض خبزة واحدة، قال: فنظر إلينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ثم ضحك[٣] حتى بدت نواجذه، قال: ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: بلى، قال: إدامهم بالام [٤] ونون [٥]، قال: وما هذا؟ قال: ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفًا"

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في "فتح الباري"(١١/٤٥٥):

"ويستفاد من الحديث أن المؤمنين لا يعاقبون بالجوع في طول زمان الموقف، بل يقلب الله لهم بقدرته طبع الأرض حتى يأكلوا منها من تحت أقدامهم ما شاء الله بغير علاج ولا كلفة، ويكون معنى قوله: "نزلاً لأهل الجَنَّة" أي الذين يصيرون إلى الجَنَّة.

– وأما شرابهم فإنهم يشربون من حوض النبي – صلى الله عليه وسلم – .

فقد أخرج الإمام البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو – رضي الله عنه- عن النبي – صلى الله عليه وسلم – :

"حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، مَن شرب منه فلا يظمأ أبداً"

وذكر ابن رجب – رحمه الله – عن بعض السلف أنه قال:

"بلغنا أنه يوضع للصُّوام مائدة يأكلون عليها، والناس في الحساب، فيقولون: "يا رب نحن نُحاسَب وهم يأكلون، فيقال: إنهم طالما صاموا وأفطرتم، وقاموا ونِمْتُم".

---

(١) أي يميلها من يد إلى يد حتى تجتمع وتستوي.

(٢) نزلاً: هو ما يعد للضيف عند نزوله.

(٣) ضحك النبي لأنه كان قد أخبرهم بهذا من قبل.

(٤) بالام: قال النووي – رحمه الله –: "بالام" لفظة عبرانية معناها: "ثور"، وزيادة كبد الحوت وزائدها، قال عياض – رحمه الله –: "هي القطعة المنفردة المتعلقة بها، وهي أطيبه، ولهذا خُصَّ بأكلها السبعون ألف، ولعلهم الذين يدخلون الجَنَّة بغير حساب، فُضِّلوا بأطيب النزل، ويحتمل أن يكون عبَّر بالسبعين عن العدد الكثير، ولم يرد الحصر فيها.

(٥) النون: الحوت.

- الصنف الثاني: أهل الشقاء

١) أنهم يُحْشَرُون يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصُمًّا.

قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى{١٢٤} قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً{١٢٥} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى} [طه: ١٢٤-١٢٦]

وقال تعالى: { وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً} [الإسراء: ٩٧]

فهؤلاء الذين كفروا وأعرضوا عن الهدى والنور والرشاد؛ يحرمون من جوارحهم في هذا اليوم العصيب شديد الزحام، جزاءً وفاقاً؛ لأنهم عطلوها في الدنيا عن معرفة الحق، أو عرفوه وحادوا عنه، فمصيرهم أن يحشروا على وجوههم عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً إلى هذه النار الملتهبة، التي كلما خبت وهدأت زادها الله تأجُّجًا.

ثبت عند "البخاري ومسلم" من حديث أنس ﷺ: "أن رجلاً قال: يا رسول الله! كيف يُحشَر الكافرُ على وَجَهِهِ يَوْمَ القيامة؟ فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – : أليس الذي أمْشاهُ على رجليه في الدنيا قادرًا على أن يُمْشِيَهُ على وَجْهِهِ يوم القيامة؟ قال قتادةٌ: بلى وَعِزَّةِ رَبِّنا".

٢) يُحْشَرُون عابسين كَالِحِي الوجوه:

قال تعالى: {كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ{٢٠} وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ{٢١} وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ{٢٢} إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ{٢٣} وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ{٢٤} تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ} [القيامة: ٢٠-٢٥].

{بَاسِرَةٌ}: كالحة، {فَاقِرَةٌ}: يعني: داهية، تقسم فقار الظهر.

فوجوه الكفار في هذا اليوم ليأسها وضعفها كالحة، كريهة المنظر، عابسة مقطبة، وتتوقع نزول داهية بها تقصم الفقار، وقال مجاهد: "إن هذه الوجوه العابسة تستيقن أنها هالكة، وأنها ستدخل النار.

٣) يُحشَرُون يوم القيامة سُود الوجوه يعلوها غبرة:

قال تعالى: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ} [الزُّمَر:٦٠]

وقال تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ{١٠٦} وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [آل عمران: ١٠٦-١٠٧]

فالبياض علامة المؤمنين يوم القيامة، والسواد سيما المجرمين في هذا اليوم، بالإضافة إلى الغبار الذي يعلوها؛ كما قال تعالى: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ{٤٠} تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ{٤١} أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ}؛ فيزيد الصورة بشاعة وكآبة، بخلاف وجوه المؤمنين والتي تشع نورًا؛ كما قال تعالى:

{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ{٣٨} ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ}[عبس:٣٨-٣٩]، فشتَّان بين السواد المغبر، والبياض المسفر.

٤) يحشرون والشمس فوق رءوسهم:

وتقترب الشمس من رءوس الخلائق مقدار ميل أو ميلين، كما جاء في الحديث: «إذا كان يومُ القيامة أدنيت الشمسُ من العبادِ حتى تكون قدر ميل[1] أو ميلين؛ فتصهرهم الشمسُ...» ولك أن تتصوَّر حال الناس حينئذ وقد صهرتهم الشمس.

ويذهب عرقهم في الأرض، ثم يرتفع فوق الأرض، ويأخذ كل إنسان بحسب عمله، وهذا ما يوضحه النبي - صلى الله عليه وسلم - .

ففي "الصحيحين"من حديث المقداد بن الأسود الكندي ﷺ قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إذا كان يومُ القيامة أدنيت الشمسُ من العبادِ حتى تكون قدر ميل أو ميلين؛ فتصهرهم الشمسُ، فيكونوا في العرق كقدر أعمالهم، ومنهم مَن يأخذه إلى عقبيه، ومنهم يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم مَن يأخذه إلى حقْويه[2]، ومنهم من يُلجمه إلجاماً[3]».

- وفي "الصحيحين" أيضًا من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «يعرقُ الناس يوم القيامة حتى يذهبَ عرقهم في الأرض سبعين ذراعًا، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم».

- أما عن ظلهم الذي يستظلون به:

فإنه ظل من دخان أسود شديد السواد، حارٌّ شديد الحرارة، فهو ليس على الحقيقة بظل، بل هو نوع من أنواع العذاب، ويدلك على هذا قوله تعالى:

{انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ{٣٠} لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ} [المرسلات:٣٠-٣١]

والظل يشعر عادة بالنداوة والبرودة، كما أن النَّفْسَ تحبه وتستريح إليه، أما هذا الظل فإنه ليس بارد المدخل، ولا

(١) قدر ميل: قال سُلَيْمُ بْنُ عامِرٍ - أحد رواة الحديث - فوالله ما أدري ما يعني بالميل، أمسافة الأرض، أم الميل الذي تكتحل به العين؟.

(٢) الحَقْو: مشد الإزار عند الخصر.

(٣) يلجمه العرق: المراد يبلغ العرقُ فمه.

بكريم المنظر، له ثلاث شعب: شعبة عن يمينهم، وشعبة عن شمالهم، وشعبة من فوق رءوسهم، أي أن الدخان محيط بهم من كل جانب، وهذا الظل ليس بظليل، بل هو ظل من يحموم،

كما قال رب العالمين: {وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ{٤٣} لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ} [الواقعة:٤٣-٤٤]

٥) يُحشَرُون يوم القيامة عطاشًا:

قال تعالى: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً{٨٥} وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً} [مريم: ٨٥-٨٦].

وفي قوله: {وَنَسُوقُ} إشعار بإهانتهم، كأنهم أنعام عطاش تساق إلى الماء.

- وأما قوله{وِرْداً}: أي عطاشاً قد تقطعت أعناقهم من العطش، وهم يَرِدُون ولكن لا يَرِدُون الماء، بل يَرِدُون جهنم وجحيمها ومُهْلَها وحميمها.

ففي "الصحيحين" عن أبي سعيد ﷺ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في حديث الشفاعة الطويل:

"إنه يقال لليهود والنصارى: ماذا تَبْغُون؟ فيقولون: عَطشنَا ربنا فاسقنا، فيشارُ إليهم ألا تَرِدُون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سرابٌ يُحَطِّمُ بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار".

٦) يقفون في أرض المحشر خمسين ألف سنة بلا طعام ولا شراب ولا جلوس:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر - رضي الله عنه- أن النبي - صلى الله عليه وسلم - تلا قوله تعالى:

{يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [المطفِّفين: ٦]، قال: «يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة».

فأى الصنفين تحب أن تكون؟ هؤلاء الذين يحشرون ركباناً، بيض الوجوه، ويحشرون آمنون مطمئنون فرحون، وقد أظلَّهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظلّه، وتمرُّ عليهم الخمسين ألف سنة كساعةٍ من النهار، أو تكون كهؤلاء الذين يقفون في أرض المحشر خمسين ألف سنة والشمس فوق رءوسهم بقدر ميل أو ميلين، وهم غرقى في عرقهم، فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!... أترك لك الإجابة.

سادساً: تطـــاير الصحف

يقول القرطبي - رحمه الله - في كتابه "التذكرة" (ص٢٥٥) مُصَوِّراً مشهد تطاير الصحف:

"فإذا بُعِثَ العباد من قبورهم إلى الموقف، وقاموا فيه ما شاء الله، حفاة عراة، وجاء وقت الحساب الذي يريد الله أن يحاسبهم فيه، أمر بالكتب التي كتبها الكرام الكاتبون بذكر أعمال الناس فأتوها، فمنهم مَن يؤتى كتابه بيمينه، فأولئك هم السعداء، ومنهم مَن يؤتى كتابه بشماله أو وراء ظهره، وهم الأشقياء، فعند ذلك يقرأ كلٌّ كتابه.اهـــ

- الصنف الأول: أهل السعادة

قال تعالى عن هذا الصنف: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ{١٩} إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ{٢٠} فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ{٢١} فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ{٢٢} قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ{٢٣} كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} [الحاقة:١٩-٢٤]

- يقول ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره: "يخبر تعالى عن سعادة مَن يُؤتى كتابه يوم القيامة بيمينه وفرحته بذلك، وأنه من شدة فرحه يقول لكلِّ مَن لَقِيَهُ: {هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ}أي: خذوا اقرءوا كتابيه؛ لأنه يعلم أن الذي فيه خيرٌ وحسناتٌ محضةٌ، لأنه ممَّن بدَّل الله سيئاته حسنات"

- الصنف الثاني: أهل الشقاء

قال تعالى عن هذا الصنف: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ{٢٥} وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ{٢٦} يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ{٢٧} مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ{٢٨} هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ{٢٩} خُذُوهُ فَغُلُّوهُ{٣٠} ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ{٣١} ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ{٣٢} إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ{٣٣} وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ{٣٤} فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ{٣٥} وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ{٣٦} لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ} [الحاقة:٢٥-٣٧]

وهذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أُعْطِي أحدهم كتابه في العرصات بشماله؛ فحينئذ يندم غاية الندم، فيقول: {يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ{٢٥} وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ{٢٦} يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ} يعني: موتة لا حياة بعدها، وقال قتادة: "تمنَّى الموت و لم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه"

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟! هذا الذي يأخذ كتابه بيمينه؛ فينعم بحياةٍ طيبةٍ راضية، أم تكون كهذا الذي يأخذ كتابه بشماله ويكون مآله النار وغضب الجبار... فأيهما تحب أن تكون؟ أترك لك الإجابة.

سابعاً: المـــيــزان

الناس يقفون يوم القيامة أمام قضاء عادل، تنفصم فيه عُرى القرابة والصداقة، وسائر روابط الإنسانية، فيقف الغني والفقير، وذو الجاه والصعلوك أمام قانون واحد حازم، تمهيداً لوزن أعمالهم بالقسطاس المستقيم العادل الذي لا تشوبه شائبة من شوائب الظلم، قال تعالى: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ{١٠١} فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ{١٠٢} وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ{١٠٣} تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ}[المؤمنون:١٠١-١٠٤]

- فعندما يموت الإنسان تنقطع الأعمال، فإذا كان يوم القيامة وُزِنت أعمال العباد وزناً دقيقاً، فيُحاسب كلٌّ على أعماله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وإن كانت أعمال الخير أكثر من أعمال الشر ولو بحسنة، دخل الجَنَّة، وإن غلبت سيئاته حسناته دخل النار، كما قال العزيز الغفار:

{فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ{٦} فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ{٧} وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ{٨} فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ{٩} وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ{١٠} نَارٌ حَامِيَةٌ}[القارعة:٦-١١]، وقال تعالى: {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ{٨} وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ} [الأعراف:٨-٩]

- يقول أنس ﷺ: "يُؤتَى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: سعد فلان سعادةً لا يشقى بعدها أبداً، وإن خفَّ ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق: شقي فلان شقاوةً لا يسعد بعدها أبداً".

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟! هذا الذي يثقل ميزانه فيكون من أهل السعادة، أم هذا الذي يخفّ ميزانه فيكون من أهل النار... أترك لك الإجابة

ثـــامنــاً: الـــحـــــوض

والحوض هذا أعطاه الله تعالى لنبيه في عرصـــــــات القيـــــامة، وهو حوض واسع الأرجـــــاء طوله مسيرة شهر، وعرضه كذلك، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب من المسك، ويأتيه هذا المـــــاء من نهر الكوثر في الجَنَّة، والذي أعطـــــاه الله لنبيه، ويترل المـــــاء من الكوثر إلى الحـــــوض عن طريـــــق ميزابـــــان أحدهمـــــا من ذهب، والثـــــانـــــي مـــــن فضة، وآنـــيـــــة الحـــــوض مـــــن الذهب والفضة، وهي كعدد نجوم السماء، وفي هذا الموقف ينقسم الناس فيه إلى صنفين

- الصنف الأول: يشرب من يدي الحبيب – رحمه الله – شربة لا يظمأ بعدها أبداً

... اللهم اجعلنا بفضلك من هذا الصنف

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :

"حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء[1]، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، مَن يشرب منه فلا يظمأ أبداً"

- أما الصنف الثاني: وهم الذين حُرِمُوا أن يشربوا من هذا الحوض.

ففي هذا اليوم العصيب، تتقطع أعناق الناس من شدة العطش، وإذا بالنبي – صلى الله عليه وسلم – يسقي المؤمنين، ويذهب آخرون ليشربوا من يده، ولكن تحجزهم الملائكة وتمنعهم من الوصول إلى الحوض.

– فقد أخرج البخاري ومسلم عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:

"إني فرَطُكم على الحوض، مَن مرَّ بي شرب، ومَن شرب لم يظمأ أبداً، وليردَنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يُحالُ بيني وبينهم، فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سُحقاً سحقاً لَمن بدَّل بعدي"

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟! هذا الذي يشرب من يدي الحبيب النبي – صلى الله عليه وسلم – شربةً لا يظمأ بعدها أبداً، أم هذا الذي يُحْرَم أن يشرب من حوض النبي – صلى الله عليه وسلم – في هذا اليوم شديد الحر؟... أترك لك الإجابة

(١) زواياه سواء: أي مربع، لا يزيد طوله عن عرضه شيئاً.

تاسعاً: الصِّراط

وقبل الحديث عن هذا المشهد المهيب، نلقي الضوء على ما قبل الصراط، حيث يتم التمايز بين المؤمنين الصادقين وبين المنافقين الكاذبين.

ففي يوم القيامة تختفي مصادر النور العادية، فتُكوَّر الشمس، وتنكدر النجوم

كما قال تعالى: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ{١} وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ}(1) [التكوير:١-٢]

ويُبعَثُ الخلق في ظلمة شديدة، ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرج الإنسان يده لم يكد يراها، وفي هذا اليوم العصيب المُظلم يعطي الله ﷻ النور لكلِّ مَن أعلن كلمة التوحيد في الدنيا، حتى إذا اقترب الجميع من الصراط، أبقى الله ﷻ النور للمؤمنين الصادقين المخلصين، كما قال تعالى:

{يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم} [الحديد:١٢]

ويسلب الله تعالى النور من المنافقين عند الاقتراب من الصراط، وهنا يخاف المؤمنون أن يُطفَأ نورهم فدعوا ربهم {رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التحريم:٨]

- نقل ابن كثير - رحمه الله - في "تفسيره"(٧/٦١) عن مجاهد والضحاك والحسن قولهم في هذه الآية: "هذا يقوله المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المنافقين قد طفئ". اهـ

ويدل على هذا ما جاء عند الطبراني - رحمه الله - عن ابن عباس - رضي الله عنه- عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

"إن الله تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم ستراً منه على عباده، أما عند الصراط فإن الله يعطي كل مؤمن نوراً وكل منافق نوراً، فإذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات، فقال المنافقون: انظرونا نقتبس من نوركم، وقال المؤمنون: ربنا أتمم لنا نورنا، فلا يذكر عند ذلك أحدٌ أحداً"

وعندما ينطفئ نور المنافقين في هذا اليوم العصيب شديد الظلمة، يركبهم الخوف والهم، ويقعون في رعب شديد، فيلجأون إلى المؤمنين أن يعطوهم شيئاً من النور الذي معهم فيقولون: "انظرونا نقتبس من نوركم" فيشير عليهم المؤمنون أن يعودوا إلى المكان الذي أعطاهم الله ﷻ فيه النور، فيعود المنافقون إلى الوراء، ويتقدَّم المؤمنون إلى الإمام، فإذا تمايز الفريقان، ضرب الله بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قِبَلِهِ العذاب"

- يقول "شارح الطحاوية"- رحمه الله - (ص٤٧): "وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويتخلَّفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم"

- وقد حدَّثنا القرآن الكريم عن هذا المشهد المهيب، والمفارقة بين المؤمنين الصادقين وبين المنافقين المخادعين؛ فقال تعالى: {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا

(١) الشمس كورت: يعني أزيل ضياؤها، أو لفت وطويت. - النجوم انكدرت: أي تساقطت وهوت.

الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ{١٢} يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ{١٣} يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ{١٤} فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}[الحديد:١٢-١٥]

ثم يبدأ المرور على الصراط، وفي هذا الموقف العصيب ينقسم الناس فيه إلى صنفين:

- الصنف الأول: أهل السعادة

وهم الذين يمرُّون على الصراط، وتختلف سرعتهم عليه باختلاف إيمانهم وأعمالهم.

فمنهم مَن يمرُّ كالبرق أو كالطرف أو كالريح أو كالطير أو كأجاويد الخيل أو كالركاب أو يمر زحفاً يتلبَّط على بطنه، ومنهم مَن يمرُّ ولكنه يُخدَش وتلفحه النار.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث حذيفة وأبي هريرة - رضي الله عنه- قالا: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

"... فيمرُّ أولكم كالبرق، قال: قلت: بأبي أنت وأمي، أي شيء كالبرق؟ قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمرُّ ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمرِّ الريح، ثم كمرِّ الطير، وشدِّ الرِّجال [١]، تجري بهم أعمالهم [٢]، ونبيكم قائم على الصراط، فيقول: ربِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً..." الحديث

---

(١) شدّ الرجال: العَدْو البالغ، والجَرْي.

(٢) هو تفسير لقوله - رحمه الله -: "فيمرُّ أولكم كالبرق... ثم كمرِّ الريح..."

- الصنف الثاني: أهل الشقاء

وهؤلاء الذين ذلّت أقدامهم فوقعوا في نار جهنم، أو تأخذهم الكلاليب والخطاطيف وتلقي بهم في النار وقد جاء ذكر هذا الصنف في الحديث الذي أخرجه أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "... ويؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم، قلنا: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكه مفلطحة لها شوكه عقيفاء تكون بنجد يقال لها: السَّعدان، يمر المؤمن عليها كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مُسلَّمْ، وناج مَخْدُوش، ومَكْدُوس في نار جهنم، حتى يمرَّ آخرهم يُسحَب سحباً"

أبت نفســـي تتوب فمـــا احتيالى	إذا برز العبـــاد لذي الجـــلال
وقــــاموا من قبورهم ســارى	بأوزار كأمــثال الجبـــــال
وقــد نصب الصــراط لكي يجوزوا	فمنهم مَن يكب على الشــمال
ومــــنهم مَن يســـير لدار عدن	تلـــاه العرائس بالغـــوالـــي
يــقـــول له المهـيمـن يا ولـــيِّ	غفرت لك الذنــوب فلا تبالي

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟! هذا الذي يمرُّ على الصراط في أمان إلى جنة الرحمن، أم هذا الذي تتخطَّفه الكلاليب والخطاطيف والحسكة وتلقي به في نار جهنم ليصلى من حرها ويعاني من نفحها، فلا يموت فيها ولا يحيى، فأي الرجلين تحب أن تكون؟... أترك لك الإجابة

أخي الحبيب... اعلم أن العلماء قد عرَّفوا الصراط لغة: بأنه الطريق الواضح، فمتى استقام الإنسان على الصراط المستقيم الذي ضربه الله له في الدنيا، اتَّسع له الصراط الذي على متن جهنم، ومَن عدل عن الاستقامة في الدنيا تعثَّر وتردَّى في نار جهنم عياذاً بالله، ومتى خالف الإنسان هواه واتَّبع مولاه سلم من الخطاطيف والكلاليب يوم القيامة التي على الصراط، ومَن تخطَّفته الشهوات والأهواء وبَعُد عن رب الأرض والسموات، تخطَّفته الكلاليب والخطاطيف وألقته في نار جهنم-

قال تعالى: {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً{٧١} ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً}

[مريم:٧٢]

نسأل الله تعالى أن يُثبِّت أقدامنا على الصراط، وأن يُنجِّينا من جهنم بكرمه ومَنِّهِ،

إنه ولي ذلك والقادر عليه

تاسعاً: الضيافة

أولاً: ضيافة أهل الجَنَّة:

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً} [الكهف:١٠٧]

والترل هو ما يعد للضيف

ومن حسن ضيافة أهل الجنَّة، أن الجنَّة تُقرَّب إليهم ولا يُقرَّبُون هم إليها.

قال تعالى: {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ}[الشعراء:٩٠]

وقال تعالى: {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ} [ق:٣١]

وقال تعالى: {وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ}(١) [التكوير:١٣]

فإذا ما دخلوا الجنَّة فإذا بها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

- وقد جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

قال الله:"أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [السجدة:١٧]"

ففي الجنَّة كل ما يريده المرء ويتمناه، بل وفوق ما يتمناه، قال تعالى: {لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ }

[ق:٣٥]

وقال تعالى: {وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[الزخرف:٧١]

---

(١) أزلفت: أي قربت.

ثانياً: ضيافة أهل النار :

قال تعالى: { إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً }[الكهف:١٠٢]

وقبل الحديث عن ضيافتهم، وما أعدَّ الله لهم في جهنم، نتكلم عن كيفية دخول أهل النار إلى جهنم، حيث يُسَاق أهلُ النار إلى النار سوقاً شديداً، ويدفعون إليها دفعاً، كما قال تعالى:

{يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعّاً{١٣} هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ}(١) [الطور:١٣-١٤]

– ثم إذا اقتربوا منها فُتحِت أبوابها في وجوههم بغتة حتى يصيبهم الفزع من هول المنظر، قال تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} [الزمر:٧١]

– فإذا فتحت أبواب جهنم ألقي فيها أهلها من مكان ضيق، وهم مقيدون بالسلاسل والاغلال،

قال تعالى: {وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً}(٢) [الفرقان:١٣]

– وهذا الإلقاء إنما يكون على وجوههم، قال تعالى: {وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [النمل:٩٠] (اليوم الآخر في القرآن العظيم: ص٤٥٧)

– ثم يلقى بعضهم على بعض، كما قال تعالى:

{فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ{٩٤} وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ}(٣) [الشعراء:٩٤-٩٥]

– ثم يتم استقبالهم في جهنم أسوأ استقبال، ويبدأ العذاب النكال

فقد قال تعالى: { هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ{٥٥} جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ{٥٦} هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ{٥٧} وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ{٥٨} هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ{٥٩} قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَباً بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ} [ص:٥٥-٦٠]

– وقوله: {لَشَرَّ مَآبٍ}أي شر مرجع يرجعون إليه يوم القيامة، وشر مردً يردون إليه.

– وقوله: {حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ} الحميم الذي بلغ أعلى درجات الغليان، والغسَّاق: البارد شديد البرودة، فيتناولون هذا

---

(١) الدع: الدفع الشديد.

(٢) مقرنين: أي مشدودين ومربوطين" (مفردات القرآن للأصفهاني: ص٦٦٧)

(٣) كبكبوا: يعني أُلقي بعضهم على بعض. (لسان العرب لابن منظور: ١/٦٩٧)

بعد ذاك مما يسب لهم آلاماً شديدة.

- وقوله: {وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ} أي وصور أُخَر من صور العذاب على هذه الشاكلة.

- أما قوله تعالى:{هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَباً بِهِمْ...}

قيل: أي لا ترحب بهم النار، ولا تتسع لهم، وقيل: "إن الذين لا يرحبون بهم هم مَن سبقوهم بالدخول في النار، فمَن يُلقى في النار ينتظر مَن يواسيه ممَّن دخلها قبله، فإذا بهم يقولون لهم: لا مرحباً بكم، كما قال تعالى: {كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا} فيرد الداخلون الجدد على مَن سبقوهم إلى النار بقولهم: {بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَباً بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ} أي أنتم الذين تسبَّبتم لنا في هذا العذاب، فبئس المستقر تستقرون فيه، فهنالك يدعو الجميع على مَن كان السبب، فيقولون:{ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ}

فتعال أنا وأنت لنرى ضيافة أهل الجنَّة وما أُعِدَّ لهم من ألوان النعيم،
وضيافة أهل النار وما أُعِدَّ لهم من العذاب الأليم

الطَّـــعَـــام

أولاً: طعام أهل الجنَّة:

١) الفاكهة بجميع أنواعها:

قال تعالى: {وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ}[الواقعة:٢٠]

وقال تعالى: {يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ} [الدخان:٥٥]

وقال تعالى:{ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ}[الزخرف:٧٣]

وقال تعالى: {وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ} [محمد:١٥]

- وهذه الفاكهة من النوع الذي يختاره ويشتهيه حتى تكمل اللذة

قال تعالى:{وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ} [الواقعة:٢٠]

وقال تعالى:{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ{٤١} وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ{٤٢} كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [المرسلات:٤١ — ٤٣]

- وهذه الفاكهة لا تنقطع في وقت من الأوقات؛ كما يحصل في فاكهة الدنيا، بل هي متوافرة دائماً، ولا تمنع عن أصحاب الجنَّة أبداً

قال تعالى: {وَمَاء مَّسْكُوبٍ{٣١}وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ{٣٢}لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ}[الواقعة: ٣١-٣٣] ،

وقال تعالى: {مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ} [الرعد:٣٥]

- وإذا أراد أن يأكل من هذه الفاكهة، فإنه لا يتعب نفسه في إحضارها وجَنْيها، بل يطلب ذلك ويحضرها الخدم له،

قال تعالى: {مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ} [ص:٥١]

- وإذا اشتهى أن يقطف هذه الفاكهة بنفسه، فإنها لا تعسر عليه، بل تذلل له الأغصان، وتنزل حتى يأخذ منها ما شاء بلا تعب أو عناء، قال تعالى: {وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً}[الإنسان:١٤]

وقال تعالى: { وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ} [الرحمن: ٥٤]، أي أن ثمر الجنتين متدلي وقريب،

وقال تعالى عن أهل الجَنَّة: {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ{٢١} فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ{٢٢} قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ {٢٣} كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} [الحاقة:٢١– ٢٤].
{فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ}: أي خالية من الهموم والأكدار، في جنة رفيعة المكان والدرجات، فيها الخضرة والمياه والظلال، فيها الثمار دانية، والأنهار جارية وفيها الحور العين، وما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

٢) وفي الجَنَّة كذلك لحم بأنواعه لما تشتهيه الأنفس:
قال تعالى:{وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ} [الطور: ٢٢]
وقال تعالى: {وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ} [الواقعة:٢١]
وأخرج الإمام أحمد بسند جيد عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "إن طيرَ الجَنَّة كأمثال البخت، ترعى في شجر الجَنَّة، فقال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله! إن هذه الطير ناعمة، فقال: أكلتها أنعم منها (قالها ثلاثاً)، وإني لأرجو أن تكون ممَّن يأكل منها"

٣) وفي الجَنَّة كذلك أسماك وحيتان:
وقد أخبر الحبيب النبي – صلى الله عليه وسلم – أن أول طعام يأكله أهل الجَنَّة هو زيادة كبد الحوت
ففي "صحيح البخاري" أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:
"وأمَّا أولُ طعامٍ يأكله أهل الجَنَّة زيادة كبد الحوت"
– وفي "صحيح مسلم: "أن يهودياً سأل النبي – صلى الله عليه وسلم – عن أول طعام أهل الجَنَّة فقال: فما تحفتهم حين يدخلون الجَنَّة؟ قال: زيادة كبد النون (يعني الحوت)، قال: فما غذائهم على أثرها؟ قال: يُنحَر لهم ثور الجَنَّة الذي كان يأكل من أطرافها، قال: فما شرابهم عليها؟ قال: من عين فيها تسمى سلسبيلاً، قال: صدقت"

– وليس فقط طعام أهل الجَنَّة اللحم والسمك والفاكهة، بل فيها كل ما اشتهت الأنفس ولذت العيون
قال تعالى عن أجل الجَنَّة: {يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[الزخرف: ٧١]، وقال تعالى: {لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ } [ق:٣٥]

ثانياً: طعام أهل النار :

١) الــزَّقّــوم:

قال تعالى: {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ{٤٣} طَعَامُ الْأَثِيمِ{٤٤} كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ{٤٥} كَغَلْيِ الْحَمِيمِ} [الدخان:٤٣-٤٦]

فأهل النار يأكلون الزقوم فيترل في بطونهم كالزيت المغلي، يغلي في البطون كما يغلي الحميم: وهو الماء الذي قد انتهى حره.

- والزقوم شجرة تخرج من أصل الجحيم، خبيثة الطعم، شديدة القبح، شبَّهها رب العالمين برءوس الشياطين، قال تعالى عنها: {أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ{٦٢} إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ{٦٣}[1]
إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ{٦٤} طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ{٦٥} فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ{٦٦} ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِّنْ حَمِيمٍ{٦٧} ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ}[2] [الصافات:٦٢-٦٨]

- هل تعلم أخي الحبيب أن قطرة واحدة من الزَّقُّومِ لو نزلت على أهل الأرض لأفسدت عليهم معايشهم، فكيف بمَن تكون طعامه؟!

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي عن ابن عباس - رضي الله عنه- عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

"لو أن قطرة من الزقوم قَطَرَتْ في دار الدنيا، لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمَن تكون طعامه؟"

(صحيح الجامع"٥٢٥٠"٥١٢٦)

---

(١) في قوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ}: يقول ابن كثير - رحمه الله - في "تفسيره": قال قتادة: "ذكرت شجرة الزقوم فافتتن بها أهل الضلالة، وقالوا: صاحبكم ينبئكم أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، فأنزل الله تعالى: {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ}غُذِّيت من النار ومنها خلقت، وقال مجاهد: {إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ}، قال أبو جهل- لعنه الله-: "إنما الزقوم التمر والزبد أَتَزَقَّمُه - أي أبتلعه-". اهـــ

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله -: "والزقوم لغة: من "الزقم"، وهو اللقم الشديد والشرب المفرط، وكان أبو جهل يقول عن شجرة الزقوم: أما والله لئن أمكننا الله منها لتزقَّمْناها تزقُّماً، فترلت الآية، وأن الله سيجازيهم بأن يأكلوا منها يملؤوا البطون.

فأهل النار يلقي عليهم الجوع فلا يجدون مفراً من الأكل من شجرة الزقوم حتى يملؤوا بطونهم، فإذا امتلأت بطونهم أخذت تغلي في أجوافهم كما يغلي دردي الزيت، ويسلط عليهم العطش فيشربون من الحميم وهو الماء الذي تناهي حرُّه، فشربوا منه كشرب الإبل التي تشرب ولا تروى، وعند ذلك يقطع الحميم أمعاءهم، كما قال تعالى: {وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ}[محمد:١٥] وهذه هي ضيافتهم يوم القيامة.

(٢) والشوب: هو الخلط والمزج، أي يخلط الزقوم المتناهي في القذارة والمرارة مع الحميم المتناهي في اللهيب والحرارة.

ومع كون قطرة واحدة من الزَّقُّومِ تفسد على أهل الدنيا معايشهم، إلا أن أهل النار من شدة الجوع يأكلون من الزَّقُّومِ حتى يملؤون منها البطون، قال تعالى: {ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ{٥١} لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ{٥٢} فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ{٥٣} فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ{٥٤} فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ{٥٥} هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ} [الواقعة:٥١-٥٦]

- قال ابن عباس - رضي الله عنه- : "الهيم: الإبل العطاش"، - وقال السدي: "هو داء يأخذ الإبل فلا تروى أبداً حتى تموت، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً"

٢) الضَّـــريع:

قال تعالى: {لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ{٦} لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ} [الغاشية:٦-٧]

والضريع: نبات ذو شوك لا تأكله الدواب لخبثه، وقال ابن عباس - رضي الله عنه- عن الضريع: "إنه شجر في جهنم، وقيل: "إن الضريع: طعام في النار كالشوك، مُرٌّ منتن لا يدفع عن أهل النار جوعاً.

٣) الغِسلين:

قال تعالى: {فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ{٣٥} وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ} [الحاقة:٣٥-٣٦]

قال ابن عباس - رضي الله عنه- : "الغسلين هو الدم والماء والصديد الذي يسيل من لحوم أهل النار"

وقال القرطبي - رحمه الله -: "والغسلين هو عصارة أهل النار، وقيل: ما يسيل من فروج النساء الزواني، ومن نتن لحوم الكفرة وجلودهم".

الـــشَّــرَاب

أولاً: شراب أهل الجَنَّة:

وأما شراب أهل الجَنَّة فإنه شراب طهور طيب، قال تعالى:

{ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً} [الإنسان:٢١]

ومن هذه الأشربة:-

١) ٢) ٣) المـــاء واللبـــن والعـــسل:

قال تعالى:{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ}(١)

[محمد:١٥]

وأخرج الإمام أحمد عن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه – رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "إن في الجَنَّة بحْرَ الماء، وبحْرَ العسل، وبحْرَ اللَّبن، وبحْرَ الخمر، ثم تَشَقَّقُ الأنهارُ بعدُ" (صحيح الجامع:٢١٢٢)

٤) الـــخـــمـــر:

مرَّ بنا في الآية والحديث أن من أنهار الجَنَّة، نهر الخمر، وخمر الجَنَّة خالٍ من العيوب والآفات التي تتصف بها خمر الدنيا، قال تعالى: {يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ{١٧} بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ{١٨} لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ} [الواقعة:١٧- ١٩]

– قال ابن كثير – رحمه الله – عن تفسير هذه الآية واصفاً خمر الجَنَّة:

"لا تصدع رءوسهم، ولا تنزف عقولهم، بل هي ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة، وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال في الخمر أربع خصال: "السُّكر، والصداع، والقيء، والبول، فذكر الله تعالى خمر الجَنَّة ونزَّهها عن هذه الخصال". اهـــ (مختصر تفسير ابن كثير: ٣/ ٤٧٦)

– وقال تعالى واصفاً خمر الجَنَّة: {يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ{٢٥} خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ{٢٦} وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ} [المطففين: ٢٥- ٢٧]، والرحيق: هي الخمر الصافية، ومن لذة الخمر أنها تختم بالمسك، والحاصل أن خمر الجَنَّة فيها ما فيها من اللذة والنعيم؛ كما قال رب العالمين ﷻ: {وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ } [محمد: ١٥]

(١) غير آسن: يعني غير متغير. (قاله ابن عباس والحسن وقتادة)

٥) الـكـــــافور:

قال تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً{٥} عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً}(١) [الإنسان: ٥-٦]

وقال تعالى: {كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً} أي يخالطها وتمزج به، قال مقاتل: "ليس هو كافور الدنيا، وإنما سَمَّى ما عنده بما عندكم؛ حتى تهتدي له القلوب".

٦) الـزَّنْـــجَبيل:

قال تعالى: {وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً{١٧} عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً} [الإنسان:١٧- ١٨]

- يقول ابن القيم - رحمه الله - كما في كتابه "حادي الأرواح"(ص ٢٢٤):

"أخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين: بالكافور في أول السورة، والزنجبيل في آخرها، فإن في الكافور من البرد وطيب الرائحة، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الراحة، ما يحدث لهم باجتماع الشرابين ومجيء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده، ويعدّل كيفية كل منهما بكيفية الآخر، وما ألطف موضع ذكر الكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها، فإن شرابهم مزج أولاً بالكافور وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدّله، والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى، وأنهما نوعان لذيذان من الشراب، أحدهما مزج بالكافور والثاني مزج بالزنجبيل". اهـــ

٧) التَّسْـنـــيم:

قال تعالى: {يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ{٢٥} خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ{٢٦} وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ{٢٧} عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ} [المطففين ٢٥- ٢٨]

- قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره لهذه الآيات:

"وقوله:{وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ} أي ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم: أي من شراب يقال له تسنيم وهو أشرف شراب أهل الجنَّة وأعلاه، قال أبو صالح والضحاك: "ولهذا قال: {عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ} أي يشربها المقربون صرفاً، وتمزج لأصحاب اليمين مزجاً، (قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق وقتادة وغيرهم). اهـــ

(مختصر تفسير ابن كثير: ٣/٦٦٢)

---

(١){يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً} أي يتصرفون فيها حيث شاءوا وأين شاءوا من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم، والتفجير هو الإنباع، كما قال تعالى: {وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً} [الإسراء:٩٠]، وقال مجاهد - رحمه الله -: {يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً} يعني يقودونها حيث شاءوا، وكذا قال عكرمة وقتادة، وقال النووي: "يصرفونها حيث شاءوا".
(مختصر تفسير ابن كثير: ٣/ ٦٢٥).

ثانياً: شراب أهل النار:

بعد أن يقف الناس في أرض المحشر خمسين ألف عام بلا طعام ولا شراب، وبعد القضاء والحساب،

يساق أهل النار إلى النار عطاشاً، كما قال تعالى: {وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً}[مريم: ٨٦]

ويصوِّر لك القرآن مدى اشتياق أهل النار إلى الماء، وذلك في قوله تعالى: {وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ}[الأعراف:٥٠]

فإذا تقطعت أعناق أهل النار من شدة العطش، وبلغ الظمأ مداه؛ سقوا ما أعد لهم من شراب أهل النار وهو:-

١) المُـــهْـــل:

قال تعالى: {وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً} [الكهف:٢٩]

ومعنى "المهل" كما جاء في الحديث: "كعكر الزيت، فإذا قرَّب وجهه سقطت فروة وجهه فيه" (رواه أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعاً)

- وقال ابن عباس – رضي الله عنه- في تفسير: "المهل": "غليظ كدردي الزيت" يعني ما يبقى أسفل الزيت"

- قال ابن عمر – رضي الله عنه- : "هل تدرون ما المُهل؟ هو الزيت المغلي يقال: "مهل الزيت يعني أحرَّه"

(الزهد لابن المبارك:ص٤٣٩)

- وقال مجاهد في قوله: {يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ } مثل القيح والدم أسود كعكر الزيت"

- وقيل: "إن المهل: كل شيء أذبته من نحاس أو رصاص... ونحو ذلك" (قاله أبو عبيدة في "مجاز القرآن:١/٤٠)،(والقرطبي في "تفسيره:١٦/١٠٠)

فالمهل يجمع نوعين من أنواع العذاب: الأول بصري: وهو لون العكارة والشكل القبيح، والآخر حسي: وهو لهبه الفظيع، وحرارته التي تشوي الوجوه.

٢) الحميم:

وهو الماء المغلي الذي قد بلغ أعلى درجات الغليان، وتناهى حرَّه، فقال تعالى:

{لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ}(١) [الأنعام:٧٠]

- وهذا الحميم لو صُبَّ على رءوس أهل النار، كان تأثيره في الباطن كتأثيره في الظاهر؛ فيذيب الأحشاء والأمعاء تماماً كما يذيب الجلود، قال تعالى:

{ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ{١٩} يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ} [الحج:١٩-٢٠]

فإذا شرب أهل النار الحميم تمزقت وتقطعت الأمعاء من شدة الحرارة

قال تعالى: {وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ} [محمد:١٥].

(١) فالحميم هو الماء الحار الذي تناهى حرَّه، كما قال تعالى: {يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ}[الرحمن:٤٤]، والـ(آن)هو الذي انتهى حره، وقال تعالى: {تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ} [الغاشية:٥]، وهي التي انتهى حرها فليس بعدها حر.

ويروى أن أحدهم مرَّ بمدينة "سامراء" وكان بها كَرْم يأخذ ليعصر خمراً فقال:

بسامراء كَرْم ما مررتَ به إلا تعجَّبْت ممَّن يشرب الماء

فهتف به هاتف فقال:

وفي جهنم ماء ما تجرعه حلق فأبقى له في البطن أمعاء

٣) الغَسَّـــاق:

قال تعالى: {لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً{٢٤} إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً} [النبأ:٢٤-٢٥]

– قال ابن عباس – رضي الله عنه– : "الغسَّاق: الزمهرير البارد الذي يحرق مَن يرده.

– وقال مجاهد: "الغسَّاق الذي لا يستطيعون أن يذوقوه من شدة برده.

فمن عجائب النار أن الله تعالى يُعذِّب فيها بالشيء وضده، يُعذِّب بالنار وبضدِّها الزمهرير.

يعذب بشراب الحميم وضدِّه الغساق.

قال تعالى: {هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ{٥٧} وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ} [ص:٥٧-٥٨]

فالحميم هو الحار الذي قد انتهى حرَّه، وأما الغساق فهو ضده وهو البارد الذي لا يستطاع من شدة برده المؤلم، ولهذا قال ﷻ: {وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ}أي وأشياء من هذا القبيل: الشيء وضده يعاقبون بها" (تفسير ابن كثير:٤/٤١)

٤) الصَّـــدِيد:

قال تعالى: {مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ{١٦} يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ} [إبراهيم:١٦-١٧]

والصديد: هو عصارة أهل النار من القيح والدم، وقال قتادة – رحمه الله –: "الصديد ما يسيل من بين لحمه وجلده، وعندما يشربه لا يستسيغه من شدة نتانته وكثافته".اهـ

– وروي عن مجاهد أنه قال: {مَّاء صَدِيدٍ}: "يعني القيح والدم"

وهذا الصديد يكثر خروجه من أهل النار حتى يصبح نهراً يُسمَّى نهر الخبال"

وقد توعَّد الله ﷻ مَن شرب الخمر في الدنيا ولم يتب منها؛ أن يسقيه من طينة الخبال يوم القيامة، وهي عصارة أهل النار

الـــمَـــلْـــبَـــس

أولاً: لباس أهل الجَـــنَّـــة:

الجنَّة ليس فيها عرى، قال ﷻ لآدم عليه السلام:

{إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى{١١٨} وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى} [طه: ١١٨ -١١٩]

- فأهل الجنَّة يلبسون، ولباسهم فيها الحرير، وهو أفضل أنواع الثياب

قال تعالى: { وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ}[الحج:٢٣]

وقال تعالى: {وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً} [الإنسان:١٢]

- وجاء في "البخاري ومسلم" أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

"مَن لَبِسَ الحرير في الدنيا؛ لم يلبسه في الآخرة".

وهذا يدل على أن الحرير لباس أهل الجنَّة في الآخرة

- أما عن ألوان الثياب: فمنها الأخضر وهو أفضل الألوان، قال تعالى عن أهل الجنَّة:

{... وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً}[الكهف:٣١]

والسندس: ما رقَّ من الديباج والحرير، والاستبرق: ما غلظ منه، وقال الزجاج: "هم نوعان من الحرير، وأحسن الألوان الأخضر، وألين اللباس الحرير، فجمع لهم بين حسن المنظر اللباس، والْتِذاذ العين به، كما قال تعالى فى آية أخرى: {عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ} [الإنسان:٢١]

فهذا اللباس ظاهر بارز يلبس فوق الثياب للزينة والجمال. (حادي الأرواح بتصرف: ص ٢٣٧).

- مناديل أهل الجنَّة:

فى الجنَّة مناديل هي أفضل من حلل وسندس الدنيا

ففي "الصحيحين" من حديث البراء رضي الله عنه قال:

"أُهْدِيَت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - حُلة حرير، فجعل أصحابه يلمسونها ويعجبون من لينها، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: تعجبون من لين هذه؟ مناديل سعد بن معاذ في الجنَّة خير منها وألين".

ثانياً: لباس أهل النار :

لباسُ أهلِ النَّارِ نارٌ، كما قال العزيز الغفار:

{فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ}[الحج:١٩]

وكان إبراهيم التيمي – رحمه الله – إذا تلا هذه الآية يقول:

"سبحان مَن خلق من النار ثياباً" (التخويف من النار ص١٢٦)

– وجاءت كلمة الثياب بالجمع لتراكم النار عليهم؛ فتكون كالثياب التي تلبس بعضها فوق بعض

– وقوله:{قُطِّعَتْ} أي قدرت لهم على قدر أجسادهم؛ لأن الثياب تقطع على مقدار بدن مَن يلبسها

ومن أهل النار مَن يلبس سربالاً من قطران، ودرعاً من جرب:

– كما جاء في "صحيح مسلم" من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:

"النائحة إذا لم تتب قبل موتها؛ تقام يوم القيامة وعليها سِرْبَال من قَطِرَان[١] ودرعٌ من جرب"[٢]

وأهل النار ينتعلون نعالاً من نار:

– فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

"إن أدنى أهل النار عذاباً ينتعل بنعلين من نار؛ يغلي دماغه من حرارة نعليه"

– وعند مسلم من حديث النعمان بن بشير ﷺ عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

"ان أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار، يغلي منهما دماغه، كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً"

---

(١) والقطران: هو الذي تطلى به الإبل الجربى، أي تطلى به جلودهم حتى يعود ذلك الطلاء كالسرابيل، وهذا مروي عن الحسن، وخصَّ القطران لسرعة اشتعال النار فيه، مع نتن رائحته ووحشة لونه، وقيل:" إن القطران هو النحاس المذاب، كما في قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً }[الكهف:٩٦] يعني: نحاس مذاب" وهذا مروي عن ابن عباس – رضي الله عنه– ، وقيل: "هو الزفت، ولعله الأرجح".

(٢) يقول الإمام النووي – رحمه الله – في شرح هذا الحديث: "فيه دليل على تحريم النياحة وهو مجمع عليه، وفيه صحة التوبة ما لم يمت المكلف، و لم يَصِل إلى الغرغرة". اهـ

الحِـلـيـــة

أولاً: حلية أهل الجَـــنَّـــة:

وحُليّ أهل الجَنَّة التي يتحلون بها، فمنها أساور من ذهب، وأساور من فضة، ومنها أساور من اللؤلؤ

قال تعالى: { يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً } [الحج:٢٣]

قال تعالى: {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} [فاطر:٣٣]

قال تعالى: {وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ} [الإنسان:٢١]

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "يجيء القرآن يوم القيامة، فيقول: يا رب حَلِّهِ، فيلبس تاج الكرامة. ثم يقول: يا رب زدهُ؛ فيلبس حُلَّة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيقال: اقرأ، وارقَ، ويُزادُ بكل آية حسنة" (صحيح الجامع:٨٠٣٠)

– يقول العلامة المباركفورى – رحمه الله – في "تحفة الأحوذي: "قوله: "يا رب حَلِّهِ" الظاهر أنه أمر من التحلية، يقال: حليته، أحليه، تحلية: إذا ألبسته الحلية. والمعنى: "يا رب زيِّنه".

ومن حلي أهل الجَنَّة التيجان:

– فقد أخرج الترمذي وابن ماجه عن المقدام بن معدي كرب ﷺ عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "للشهيد عند الله سبع خصال..." ثم ذكر من جملة السبع فقال: "... ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها". (صحيح الألباني في "مشكاة المصابيح":٣٨٣٤)

– وأخرج الحاكم عن بريدة الأسلمي ﷺ قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:

"مَن قرأ القرآن وتعلَّمه وعَمِل به، أُلْبِس والده يوم القيامة تاجاً من نور، ضوؤه مثل ضوء الشمس..." الحديث.

ثانياً: حلية أهل النار:

فالله تعالى أعدَّ لِمَن دخل النار سلاسلَ وأغلالاً وقيوداً، أوثق بها أهل الكفر وثاقاً لا يمكن لأحد من العالمين أن يوثقه، وهذا يُصوِّر لنا مدى النكال والعذاب والخزي الذي يعانيه أهل النار

قال تعالى: {فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ{٢٥} وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ} [الفجر:٢٥-٢٦]

وقال تعالى: {وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً} [الفرقان:١٣]

وقال تعالى: {وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ}[إبراهيم:٤٩]

وقال تعالى: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً} [الإنسان:٤]

والأغلال: جمع "غل": وهي الحديدة التي تجمع يد الأسير إلى عنقه. (لسان العرب- مادة "غل")

أما السلاسل فهي جمع: "سلسلة"، وهي: حلقة منتظمة من جهة الطول وكذلك الأصفاد.

والسلاسل لون من ألوان العذاب فهي تقيد الحركة، وترهق الجسد، وتذل النفس

فمن الصور المخزية هذه الأغلال التي توضع في الأعناق

قال تعالى: { وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [سبأ:٣٣]

وقال تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ} [يس:٨]

فهي أغلال وضعت في الأعناق وبلغت الذقن، فلا يستطيع الإنسان أن يترل ذقنه إلى أسفل، فدوماً بصره شاخص إلى أعلى

وقال تعالى: {إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ{٧١} فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ} [غافر:٧١-٧٢]

وقال تعالى: {أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ }[الرعد:٥]

الـــسَّـــكَـــن

أولاً: مساكن أهل الجَـــنَّـــة:

أهل الجَنَّة لهم في الجَنَّة مساكن طيبة يأوون إليها ويتنعمون فيها

قال تعالى: {وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة:٧٢]، وهذه المساكن التي يسكنها أهل الجَنَّة متنوعة، فمنها القصور، ومنها البيوت، ومنها الغرف، ومنها الخيام.

– وقد أخرج الطبراني والبزار واللفظ له عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "خلق الله – تبارك وتعالى – الجَنَّة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك، وقال لها: تكلَّمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقالت الملائكة: طوبى لك مترل الملوك" (صحيح الترغيب والترهيب:٩٥١/٤)

وفي الجَنَّة خيام من دُرٍّ مجوف، قال تعالى: {حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ} [الرحمن:٧٢]

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: "أي دُر مجوف"

فالخيمة عبارة عن لؤلؤة واحدة مُجوَّفة، طولها في السماء ستون ميلاً، وعرضها مثل ذلك.

– فقد أخرج البخاري عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:

"إن للمؤمن في الجَنَّة لخيمة من لؤلؤة واحدة مُجَوَّفة، طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضاً"

وجاء في بعض الروايات: "أن عرضها ستون ميلاً"

– ففي "صحيح مسلم" أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "في الجَنَّة خيمة من لؤلؤة مُجوفة، عرضها ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهل، ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن"

– وفي الجَنَّة كذلك قصور، وبيوت، وغرف

وهذه القصور والبيوت والخيام والمساكن الطيبة في جَنَّات عدن ليست للوقاية من الحرَّ أو البرد، وليست ليرتاح أهلها فيها، وليست للحفظ والستر، فإن الجَنَّة لا حرّ ولا برد فيها، ولا تعب ولا انكشاف فيها، إنما مساكن طيبة كما أخبر الله تعالى، جُعِلَت للبهجة والسرور، والاستمتاع والحبور، تتغير فيها الألوان في كل آن، وتبسط فيها الوسائد والزرابي تكريماً وإحساناً، ويأنس فيها ولي الله بالأهل والولدان، وتمد فيها الموالد في كل الأركان.

ثانياً: مساكن أهل النار:

وأهل النار يسكنون كذلك لكنهم يسكنون في بيوت من نار، ويحبسون في سجون ضيقة، ويُلْقَى بهم في أودية مهلكة فقد أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – أن الذي يكذِبُ عليه؛ يُبنَى له بيت في النَّار

– ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن ابن عمر – رضي الله عنه– عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "إن الذي يكذب عليَّ يُبنَى له بيت في النار" (صحيح الجامع:١٦٩٤)

- وأما عن السجون:

فقد قال تعالى: {كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ{٧} وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ} [المطففين:٧-٨]

{سِجِّينٌ} فعيل من السجن، وهو الضيق، وقد عظم الله أمره، فقال: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ}

أي أمر عظيم، وسجن مقيم، وعذاب أليم" (الفتح الرباني باختصار:٧٧/٧)

وهناك سجن في جهنم يسمي بُولَس، أعده الله للمتكبِّرين.

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنه– عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "يُحشَر المتكبِّرُون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذلُّ من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمي بُولَس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال"

- وهناك أودية يُقْذَفُون فيها ويأوون إليها:

ومن هذه الأودية: وادي الويل

قال تعالى: {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ} [المرسلات:١٥]، وقال تعالى: { وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ} [الأنبياء:١٨]

– وأخرج الترمذي والحاكم وابن أبي الدنيا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:"الويل وادٍ في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره، والصَّعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً يهوي به كذلك فيه أبداً" (صححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي)

وقيل: "إن الويل هو التوعُّد بالعذاب الشديد".

– وهناك وادي الغي

قال تعالى: {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً} [مريم:٥٩]

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "الغي" هو وادٍ في جهنم يقذف فيه الذين اتبعوا الشهوات" (أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار: ص٤١)

وروي عنه أنه قال في قوله تعالى: {فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً} وادٍ في جهنم بعيد قعره، خبيث طعمه"

وقال البراء بن عازب رضي الله عنه: "الغي": واد في جهنم بعيد القعر، منتن الرائحة" (أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار: ص٤٦٠)

وهذا كله لا يقال من قبل الرأي، فله حكم الرفع

وقفة:

هل تعلم أخي الحبيب أن أدنى أهل الجَنَّة منزلة له في الجَنَّة مثل الدنيا عشر مرات

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجَنَّة دخولاً، رجل يخرج من النار حبواً، فيقول الله: اذهب فادخل الجَنَّة، فيأتيها فيُخيَّل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتُها ملأى، فيقول: اذهب فادخل الجَنَّة، فيأتيها فيُخيَّل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول: اذهب فادخل الجَنَّة، فإن لك مثل عشرة أمثال الدنيا، فيقول: تسخر مني – أو: أتضحك مني – وأنت الملك؟ قال عبد الله بن مسعود: فلقد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ضحك حتى بدت نواجذه، وكان يقال: ذلك أدنى أهل الجَنَّة منزلة".

- وأما أهل النار فإنهم يلقون من مكان ضيق لايتمكَّنُون فيه من الحركة لضيقه

قال تعالى: {وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً} [الفرقان:١٣]

قال كعب: "إن في جهنم تنانير ضيقة كضيق زج رمح أحدكم، ثم يطبق على أناس بأعمالهم"

وقد مرَّ بنا قوله تعالى: {إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ{٨} فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ} [الهمزة:٨-٩]

وجاء من جملة تفسير "العُمُد الممددة": "أنها عمد من حديد ملتهبة، يوضع فيها أهل الكفر فتحيط بهم من كل جانب - نعوذ بالله من الخذلان.

فَأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

الـــفِـــــراش

أولاً: سُرُر وأرائك أهل الجَـــنَّـــة:

فقد ذكر الله تعالى لهذه السُّرُر ثلاث صفات هي:-

١- أنها مصفوفة: قال تعالى: {مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ} [الطور:٢٠]

فالسرر مصفوفة بعضها إلى جانب بعض، ليس بعضها خلف بعض، ولا بعيد عن بعض.

٢- أنها موضونة: قال تعالى: {عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ{١٥} مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ} [الواقعة:١٥-١٦]

فالسرر موضونة أي مرصعة بالجواهر ومتقاربة، وقيل: موضونة أي منسوجة بقضبان الذهب، مشبكة بالدر والياقوت والزبرجد. (انظر "حادي الأرواح" لابن القيم)

٣- أنها مرفوعة: قال تعالى: {فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ} [الغاشية:١٣]

- واتّكاؤهم على الأرائك والسُّرُر على هذا النحو نوع من النعيم، الذي يتمتع به أهل الجَنَّة حين يجتمعون.

- وقال تعالى: {... مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً} [الكهف:٣١]

- وقال تعالى: { مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً}[الإنسان:١٣]

- وقال تعالى: {عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ {٢٣} تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ} [المطففين:٢٤]

والأرائك: جمع "أريكة"، يقول ابن عباس – رضي الله عنه- : "لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة. (البعث والنشور للبيهقي: ص٨٢)

وقال مجاهد: "هي الأسِرَّة في الحجال، والحجال: القبة من القماش تكون على السرير مثلما يوضع للعروس على سريرها من ضرب الستور والأقمشة على شكل القبة وتعلق فوق السرير" (لسان العرب: ١١/١٤٤)

فالأريكة سرير عليه الستور، يخلو فيها المؤمن بِحبِّه. (انظر الإيمان باليوم الآخر للدكتور علي محمد الصلابي: ص٢٧٩-٢٨٠)

يقول ابن القيم – رحمه الله – كما في "حادي الأرواح": "فتأمل كيف وصف الله – رضي الله عنها- الفرش بأنها مرفوعة، والزرابي بأنها مبثوثة، والنمارق بأنها مصفوفة، فرفع الفرش دال على سمكها ولينها، وبث الزرابي دال على كثرتها، وأنها في كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه، وصف المساند يدل على أنها مهيأة للاستناد إليها دائماً ليست مخبأة، تصف في وقت دون وقت. والله أعلم.

ثانياً: فراش أهل النار:

النار تكون حول المجرمين من كل مكان، وتحيط بهم من كل جانب

قال تعالى: {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} [العنكبوت:٥٤]

وقال تعالى: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا} [الكهف:٢٩]

فالنار أمامهم ومن خلفهم، وعن أيمانهم وعن شمائلهم، ومن فوقهم ومن تحت أرجلهم، بل فراشهم من النار، وغطاؤهم من النار، ووسائدهم من النار.

- قال تعالى: {لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ} [الأعراف:٤١]

فالمهاد: هو الفراش، والغواش: جمع "غاشية" أي: نيران تغشاهم، وهي الأغطية: كاللحاف" (قاله محمد بن كعب والضحاك والسدي)

فمقصود الآية: أنهم يفترشون النار، ويلتحفون بألحفة من النار

- وقال تعالى: {وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً}[الإسراء:٨]

قال الحسن – رحمه الله -: "أي فراشا ومهاداً، وقال قتادة: {حَصِيراً} أي محبساً حُصِروا فيها، فلا يفلت منهم أحد".

- فالنار محدقة ومحيطة بهم من كل مكان، كما قال الواحد الديان:

{يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [العنكبوت:٥٥]

- وقال تعالى:{لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ } [الزمر:١٦]

والظلل: هي أطباق من النار كثيرة متراكمة، من فراش ومهاد وسرادقات..."

وإطلاق الظلل عليها تهكماً؛ لأن الظلة تقي من الحر، لكن هذه الظلة لا تقي من حر جهنم.

ملحق:

إتماماً للفائدة أذْكُرُ هنا نعيم أهل الجنَّة، وكذا عذاب أهل النار، ليقارن كلٌّ منا بين هذا وذاك، وليختر من أي الصنفين يحب أن يكون؟!

صور من نعيم أهل الجَنَّة

١) ومن نعيم أهل الجَنَّة: أنهم يترلون منها حيث شاءوا، ويتبوَّءون منها حيث أرادوا:

قال تعالى: {... وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} [الزمر:٧٤]

٢) ومن ألوان النعيم في الجَنَّة: التسبيح والتكبير:

فقد جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه:

"أن النبي - صلى الله عليه وسلم - وصف أول زُمْرَة تدخل الجَنَّة..." ثم قال في آخر الحديث: "... يسبحون الله بكرة وعشياً" وهذا ليس على سبيل التكليف، فالجَنَّة دار جزاء وإنعام، وليست دار تكليف واختبار.

- وقد نقل الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في "فتح الباري" (٦/٣٢٦) قول القرطبي - رحمه الله - حيث قال:

"هذا التسبيح ليس عن تكليف وإلزام! وقد فسَّره جابر في حديثه عند مسلم بقوله: "يُلْهَمُون التسبيح والتكبير كما تُلْهَمُون النفس"، ووجه التشبيه أن تنفُّس الإنسان لا كلفة عليه فيه ولا بد منه، فجعل تنفُّسهم تسبيحاً، وسببه أن قلوبهم تنوَّرت بمعرفة الرب سبحانه، وامتلأت بحبه، ومَن أحبَّ شيئاً أكثر من ذكره".

وقد قرر شيخ الإسلام - رحمه الله - كما في "مجموع الفتاوى" (٤/٣٣٠):

"أن هذا التسبيح والتكبير لون من ألوان النعيم الذي يتمتع به أهل الجَنَّة، قال: هذا ليس من عمل التكليف الذي يطلب له الثواب منفصل، بل نفس هذا العمل من النعيم الذي تتنعم به الأنفس وتتلذذ به".

٣) ومن نعيم أهل الجَنَّة: أنهم مترَّهُون عن الأذى: من غائط أو بول أو مخاط أو بزاق:

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

"أول زُمْرَة تدخل الجَنَّة من أُمَّتِي على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد نجم في السماء إضاءة، ثم هم بعد ذلك منازل، لا يتغوطون، ولا يتبولون، ولا يمتخطون، ولا يبزقون".

٤) ومن نعيم أهل الجَنَّة: أنهم لا يسمعون فيها ما يؤذيهم، ويسمعون ما تلذ الأذن بسماعه

- فأهل الجَنَّة:{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً}أي باطلاً من القول، {وَلَا تَأْثِيماً}[الواقعة:٢٥]، أي ولا أي قول يجلب الآثام:{إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً}[الواقعة:٢٦] أي ما يسمعونه هو الكلام الآمن من الآثام والذنوب والمعاصي.

- ويسمعون أيضاً السلام الذي يلقى عليهم، سلام من ربهم؛ كما قال سبحانه: {سَلَامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ} [يس:٥٨]، وقال تعالى: {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ} [الأحزاب: ٤٤]

وسلاماً من خزنة الجَنَّة، كما قال تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ}[الزمر:٧٣]

وسلاماً من الملائكة، كما قال تعالى: {وَالمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ{٢٣} سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد:٢٣ -٢٤]

- وأهل الجَنَّة لهم سماع من الملائكة لم يسمعوا بمثله قط

يقول شهر بن حوشب: "روي أن الله تعالى يقول للملائكة: إن عبادى كانوا يحبون الصوت الحسن في الدنيا فيدعونه من أجلي، فأَسْمِعُوا عبادي، فيأخذون في تهليل وتسبيح وتكبير لم يسمعوا بمثله قط".

- ولأهل الجَنَّة كذلك لهم سماع من نوع خاص

فقد أخرج ابن أبي الدنيا عن أبي لبابة ﷺ قال:

"إن في الجَنَّة شجرة ثمرها زبرجد وياقوت ولؤلؤ، فيبعث الله ريحاً فتصفق؛ فَتُسْمَعُ لها أصوات لم يسمع ألذ منها".

- وهناك سماع يستفرغ نعيم أهل الجَنَّة، وهو سماع داود عندما يمجد رب العالمين

فقد أخرج ابن أبي الدنيا عن مالك بن دينار أنه قال:

"إذا كان يوم القيامة؛ أمر بمنبر رفيع فوضع في الجَنَّة ثم نودي يا داود، مجِّدْني بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تُمَجِّدْني به في دار الدنيا، قال: فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجَنَّة فذلك قوله تعالى: {وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ }[ص:٤٠]"

- بل هناك سماع ما هو أعلى من هذا، وهو سماع الغناء من الحور العين

قال رب العالمين في كتابه الكريم: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ}[الروم:١٥]
وقال تعالى: {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْواجكُمْ تُحْبَرُونَ} [الزخرف:٧٠]

- قال يحيى بن أبي كثير – رحمه الله –: "الحبرة: يعني اللذة وسماع الغناء".

ومعنى يحبرون: "أي يسمعون ما تلذ الأذن بسماعه، وتنعم بسماعه" (البعث والنشور للبيهقي: ص ٢١١)

- وقال تعالى: {إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ} [يس:٥٥]

وقوله: {فَاكِهُونَ} الفكاهة المزاح والكلام الطيب، والمتفكه هو المتنعم. (تفسير القرطبي:١٥/ ٣١)

وأخرج الطبراني عن ابن عمر – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:

"إن أزواج أهل الجَنَّة ليغنين أزواجهنَّ بأحسن أصوات، ما سمعها أحد قط، إن مما يغنين: نحن الخيِّرات الحسان [1]

أزواج قوم كرام

(١) الحسان: جمع حسناء وهى المرأة الجميلة.

ينظرون بِقُرَّةِ أعيان

وإن مما يغنيين به:

نحن الخالدات فلا يمتنه — نحن الأمنات فلا يخفنه

نحن المقيمات فلا يظعنَّه [1] (صحيح الجامع: ١٥٦١)

- بل هناك سماع أعلى من هذا كله، وهو سماع القرآن من الرحمن، يقول ابن القيم - رحمه الله -:

"ولأهل الجَنَّة سماع أعلى من هذا يضمحل دونه كل سماع، وذلكم حين يسمعون كلام الرب - جل جلاله - وخطابه وسلامه عليهم ومحاضرته لهم، ويقرأ عليهم كلامه، فإذا سمعوه منه فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك" اهـ

ففي "كتاب السُّنَّة" لعبد الله بن الإمام أحمد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "كأن الناس يوم القيامة لم يسمعوا القرآن إذا سمعوه من الرحمن، فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك"

- وقد روى أبو الشيخ عن عبد الله بن بريدة - رضي الله عنه- قال:

"إن أهل الجَنَّة يدخلون كل يوم مرتين على الجبَّار- جلَّ جلاله -، فيقرأ عليهم القرآن، وقد جلس كل امرىء منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدُّر والياقوت والزبرجد والذهب والزمرد، فلم تقر أعينهم بشيء، ولم يسمعوا شيئاً قط أعظم ولا أحسن منه، ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين، قريرة أعينهم إلى مثلها من الغد".

فاللهم ارزقنا لذة السماع في الجَنَّة، وارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم.

(١) يظعنَّه: والظعن هو الارتحال والسفر.

٥) ومن نعيم أهل الجَنَّة: أنهم لا يرون فيها حرًّا ولا برداً:

قال تعالى: {مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً} [الإنسان:١٣]

٦) ومن نعيم الله وتكريمه لأهل الجَنَّة: أن الجَنَّة تقرَّب لهم ولا يقربون هم إلى الجَنَّة:

قال تعالى: {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ}[الشعراء:٩٠]

قال تعالى: {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ} [ق: ٣١]

وقال تعالى: {وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ}(١) [التكوير: ١٣]

٧) ومن نعيم أهل الجَنَّة: ما ذكره الترمذي في "الشمائل" عن تقي بن مانع ﷺ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "إن من نعيم الجَنَّة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب، وأنهم يؤتون في الجَنَّة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول؛ يركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله، فيأتيهم مثل السحابة، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، فيقولون: أمطري علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق أمانيهم، ثم يبعث الله ريحاً غير مؤذية؛ فتنسف كثباناً من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم، فيأخذون ذلك المسك في نواصي خيولهم وفي مفارقهم وفي رءوسهم، ولكلِّ رجلٍ منهم جُمَّة على ما اشتهت نفسه، فيتعلَّق ذلك المسك في تلك الجمام، وفي الخيل، وفيما سوى ذلك من الثياب، ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله، فإذا المرأة تنادى بعض أولئك: عبد الله أما لك فينا حاجة؟ فيقول: ما أنت ومَن أنت، فتقول: أنا زوجتك وحبك، فيقول: ما كنت علمت بمكانك، فتقول المرأة: أوما تعلم أن الله تعالى قال: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة:١٧]، فيقول: بلى وربي، فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفاً، ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم". (حسنه الألباني في "مختصر الشمائل المحمدية" للترمذي برقم ٢٠٥)

(١) أزلفت: أي قربت.

٨) ومن نعيم أهل الجَنَّة: أن يرزقهم الله راحة البال:

قال تعالى: {وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ{٤} سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ} [محمد:٤-٥]

٩) ومن نعيم أهل الجَنَّة: دوام ما هم فيه من النعيم وعدم زواله:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة - رضي الله عنه- عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

"ينادي مناد: إن لكم أن تصحُّوا فلا تسقموا أبداً، وأن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبُّوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، فذلك قوله ﷻ: {وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}[الأعراف:٤٣]"

- ولأن أهل الجَنَّة يتقلَّبون في ألوان النعيم، فهم لا يرغبون في التحول عنها، قال تعالى:

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً{١٠٧} خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً}

[الكهف:١٠٧- ١٠٨]

١٠) ومن نعيم أهل الجَنَّة: أن الله تعالى يرزقهم نعمة الرضا:

قال تعالى: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسَناً وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ{٥٨} لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ} [الحج:٥٨- ٥٩]

وقال تعالى واصفاً عيشهم: {فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ }[الحاقة:٢١]

- وفي الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري ومسلم وفيه:

"... أن الله ﷻ يسأل أهل الجَنَّة فيقول لهم: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب؟ وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من خلقك..." الحديث

ولقد قال تعالى: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ{٢٧} ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً{٢٨} فَادْخُلِي فِي عِبَادِي{٢٩} وَادْخُلِي جَنَّتِي} [الفجر:٢٧- ٣٠]

١١) ومن نعيم أهل الجَنَّة: أن لهم فيها ما تشتهيه أنفسهم:

قال تعالى: {لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ } [ق:٣٥]

قال تعالى: {يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [الزخرف: ٧١]

وهذا واحد من أهل الجَنَّة يشتهي أن يزرع، فيستأذن ربه، فيَأْذَن له، فما يكاد يلقي البذر حتى يكبر الزرع ويضرب بجزوره، في الأرض ثم ينمو، ويكتمل، وينضج في نفس الوقت.

فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ: "أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يوماً يحدِّث وعنده رجل من أهل البادية، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : أن رجلاً من أهل الجَنَّة أستأذن ربه في الزرع، فقال: أولست فيما شئت؟ [(١)] قال: بلى، ولكني أحب أن أزرع...، فأسرع وبذر فتبادر الطرف نباته [(٢)] واستواؤه واستحصاؤه وتكويره، أمثال الجبال، فيقول الله تعالى: دونك يا ابن آدم، فإنه لا يشبعك شيء، فقال الأعرابي: يا رسول الله، لا تجد هذا إلا قرشياً أو أنصارياً، فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله".

وهذا رجل آخر تمنَّى الولد؛ فيحقق الله له أمنيته في ساعة واحدة، حيث تحمل زوجته وتضع في ساعة واحدة.

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "المؤمن إذا اشتهى الولد في الجَنَّة، كان حَمْلُهُ ووَضْعُهُ وَسِنُّهُ في ساعةٍ واحدة، كما يشتهي". (صحيح الجامع:٦٦٤٩)

١٢) ومن أفضل نعيم أهل الجَنَّة: إحلال الرضوان من الرحمن:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

"إن الله – تبارك وتعالى– يقول لأهل الجَنَّة: يا أهل الجَنَّة، فيقولون: لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من خلقكم، فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً".

---

(١) أي فيما شئت من أنواع النعيم وألوان الطعام والشراب.

(٢) أي سابق النظر.

- ورضا الله تعالى عن أهل الجَنَّة أكبر وأفضل وأجلّ وأعظم مما هم فيه من النعيم؛ قال تعالى:
{وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة:٧٢]
وقوله: {وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ} أي رضا الله عنهم أكبر وأعظم من أي نعيم هم فيه.

١٣) ومن أفضل نعيم أهل الجَنَّة كذلك: رؤية وجه الله تعالى:

ورؤية وجه الله تعالى أفضل ما يعطاه أهل الجَنَّة، فيقول ذو النون - رحمه الله -: "والله ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه، ولا طابت الجَنَّة إلا برؤية وجه".

- ويقول ابن الأثير - رحمه الله - في "جامع الأصول" (١٠ / ٥٥٧): "رؤية الله هي الغاية القصوى في نعيم الآخرة، والدرجة العليا في عطايا الله الفاخرة، بلغنا الله منها ما نرجو".

فرؤية الله في الجَنَّة هي أعلى الكرمات، وأفضل العطيات، وأسمى الهبات، وأقصى الأمنيات، وهي الغاية التي لا متجاوز بعدها، وهي المنتهى الذي ليس بعده شيء، وهي المتعة واللذة والنعيم الذي يتضاءل عنده أي نعيم وأي لذة".

وقد أخرج الإمام مسلم والترمذي عن صهيب الرومي ﷺ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:
"إذا دخل أهل الجَنَّةِ الجَنَّةَ، يقول - تبارك وتعالى-: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيِّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنَّة، وتُنَجِّنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ، ثم تلا هذه الآية: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ }"[يونس:٢٦]
وفي رواية أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "إذا دخل أهل الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وأهل النارِ النارَّ، نادى مناد: يا أهل الجَنَّة، إن لكم عند الله موعداً، يريد أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم يُثَقِّل الله موزايننا، ويُبيِّض وجوهنا، ويدخلنا الجَنَّة، ويُنَجِّينا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم".
وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يدعو ويقول:
"... وأسألك لذَّة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضرَّاء مضرة، ولا فتنة مضلة..." (رواه النسائي والحاكم عن عمار ﷺ، وهو في صحيح الجامع:١٣٠١)

فاللهم ارزقنا لذة النظر لوجهك الكريم... أمين

صور من عذاب أهل النار

هناك عذاب حسي لأهل النار، وكذا هناك عذاب معنوي

- أولاً: العذاب الحسي:

ومن صور العذاب الحسي:

١- تسليط العطش على أهل النار:

وهو من أشد عذاب أهل النار قسوة

قال أبو عمران الجوني: بلغنا أن أّهل النار يبعثون عطاشاً، ثم يقفون مشاهد القيامة عطاشاً، ثم قرأ:

{وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً} [مريم:٨٦]

{وِرْداً} قال الضحاك: "يعني عطاشاً"، وقال مجاهد: "منقطعة أعناقهم من العطش".

فعندما يقوم الناس جميعاً لرب العالمين يوم القيامة، ويقفون في أرض المحشر خمسين ألف سنة حفاة عراة غرلاً، لا يأكلون ولا يشربون ولا يجلسون ولا يستظلون، ثم يساق أهل النار إلى النار وقد تقطعت أعناقهم من شدة العطش، يقول الحسن البصري - رحمه الله -: "ما ظنك بقوم قاموا على أقدامهم خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة و لم يشربوا فيها شربة؛ حتى انقطعت أعناقهم عطشاً واحترقت أجوافهم جواعاً، ثم انصرف بهم إلى النار؛ فيسقون من عين آنية قد آن حرها واشتد نضجها.

- وفي "الصحيحين" عن أبي سعيد ﷺ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في حديث الشفاعة الطويل:

"إنه يقال لليهود والنصارى: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار".

وهنا ينادي أهل النار على أهل الجَنَّة أن يفيضوا عليهم من الماء، ولكن الجواب كما وصف رب العالمين في كتابه الكريم هذا المشهد، فقال تعالى: {وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ} [الأعراف:٥٠]

فالعطش يسلط عليهم وهو لون من ألوان العذاب، فإذا أذِن الله لهم في الشراب كان شرابهم الحميم، والمهل، والغساق، والصديد.

نعوذ بالله من الخذلان.

٢- تقييد أهل النار في السلاسل والأغلال:

فالله تعالى أعدَّ لَمن دخل النار سلاسل وأغلالاً وقيوداً، أوثق بها أهل الكفر وثاقاً لا يمكن لأحد من العالمين أن يوثقه، وهذا يُصوِّر لنا مدى النكال والعذاب والخزي الذي يعانيه أهل النار

قال تعالى: {فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ{٢٥} وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ} [الفجر:٢٥-٢٦]

وقال تعالى: {وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً} [الفرقان:١٣]

وقال تعالى: {وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ}[إبراهيم:٤٩]

وقال تعالى: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً} [الإنسان:٤]

والأغلال: جمع "غل": وهي الحديدة التي تجمع يد الأسير إلى عنقه. (لسان العرب- مادة "غل")

أما السلاسل فهي جمع "سلسلة"، وهي: حلقة منتظمة من جهة الطول وكذلك الأصفاد.

والسلاسل لون من ألوان العذاب فهي تقيد الحركة، وترهق الجسد، وتذل النفس

فمن الصور المخزية هذه الأغلال التي توضع في الأعناق

قال تعالى: { وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [سبأ:٣٣]

وقال تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ} [يس:٨]

فهي أغلال وضعت في الأعناق وبلغت الذقن، فلا يستطيع الإنسان أن يترل ذقنه إلى أسفل، فدوماً بصره شاخص إلى أعلى

وقال تعالى: {إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ{٧١} فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ} [غافر:٧١-٧٢]

وقال تعالى: {أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ }[الرعد:٥]

- وقال ابن عباس - رضي الله عنه- عند قوله تعالى: {يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ}

[الرحمن:٤١]

قال: "يجمع بين رأسه ورجليه، ثم يقذف كما يقذف الحطب" (البعث والنشور للبيهقي: ص٢٨٦)

وأم جميل- امرأة أبي لهب - في عنقها حبل من نار قد طوقت به، قال تعالى:

{فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ} [المسد:٥]

وقال تعالى: {إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً{١٢} وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً} [المزمل:١٢-١٣]

والأنكال: هي القيود، وسميت القيود أنكالاً، لأن الله يعذبهم بها، وينكل بهم بها

وقال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ{٢٥} وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ{٢٦} يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ{٢٧} مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ{٢٨} هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ{٢٩} خُذُوهُ فَغُلُّوهُ{٣٠} ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ{٣١} ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ} [الحاقة:٢٥-٣٢]

- قال ابن عباس - رضي الله عنه- : في قوله تعالى: {ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعا}[الحاقة:٣٢]، قال: بذراع الملك [(١)]"

(تفسير الطبري: ٢٩-٦٣)

تدخل السلسلة في دبره وتخرج من حلقه، ثم يجمع بين ناصيته وقدميه، ثم ينظمونه كما ينظم الجراد في العود حين يُشوى" (تفسير ابن كثير:٤/٥٣٥)

٣- ضرب أهل النار بمقامع من حديد:

قال تعالى: {وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ{٢١} كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [الحج:٢١-٢٢]

والملائكة تهوي بهذه المطارق على الذين يحاولون الفرار والخروج من النار، وكيف الفرار وجهنم عليهم مؤصدة، وهم في عمد ممددة، وهم في القيد والأغلال، ولكن لفح النار يجعلهم يحاولون الفرار، فلا يجدون إلا المقامع على رأسهم تهوي، وإذا بهم يطرحون مرة أخرى في الجحيم، ومن لفحها وحرها يعانون.

---

(١) وقال فريق من أهل العلم: "إن المقصود بالعدد سبعون، التكثير والتضعيف، وهذا معروف في لغة العرب، فلا يراد بها حصر العدد حقيقة، وإنما للدلالة على الكثرة، يقول الزمخشري: "وجعلها سبعين ذرعاً إرادة الوصف بالطول كما قال تعالى: {إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً }[لتوبة:٨٠]، يريد مرات كثيرة، فالسلسلة إذا طالت كان الإرهاق أشد. (الكشاف:٤/١٥٣)

٤- صب الحميم فوق الرءوس (وهو ما يعرف بالصهر):

والحميم هو ذلك الماء الذي انتهى حره، فلشدة حره تذوب أمعاؤهم وما حوته بطونهم

قال تعالى: {فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ{١٩} يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ} [الحج:١٩-٢٠]

- وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

"إن الحميم ليصب على رءوسهم، فينفذ حتى يَخْلُصَ إلى جوفه؛ فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه، وهو الصُّهْرُ، ثم يعاد كما كان"

- وعند الحاكم: أن أبا هريرة ﷺ تلا قوله تعالى: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ}، "فقال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "إن الحميم ليصب على رءوسهم فينفذ الجُمْجُمَة حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق قدميه وهو الصَّهْر، ثم يعاد كما كان".

وقد نزل قوله تعالى في شأن أبي جهل: {خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاء الْجَحِيمِ{٤٧} ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ{٤٨} ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} [الدخان:٤٧-٤٩]

يقال له هذا على سبيل التقريع والاستهزاء به، فإنك كنت في الدنيا تزعم إنك العزيز في قومك، الكريم في حسبك، فذق هذا العذاب المذل المهين.

٥- الله ﷻ يذيب بعض أهلها في النار كما يذاب الرصاص:

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم وفيه: "... ولا يريد أحدٌ أهلَ المدينة بشرٍّ إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص، أو ذوب الملح في الماء..." الحديث

٦- تبديل الجلود:

الجلود يوم القيامة تضخم وتغلظ، كما أخبر بذلك النبي - صلى الله عليه وسلم -

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

"... وغلظ جلده- أي الكافر- مسيرة ثلاثة أيام"

- وفي رواية عند الترمذي: "وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبَّار[١] "

- وفي رواية للحاكم: "وعرض جلده سبعون ذراعاً"

- والحكمة من تغليظ سمك جلد الكافر:

أن هذا أشد في الإيلام، وأكثر في العذاب، وأطول في المدة، فكلما كان الجلد غليظ سميك تأكل فيه النار، وبطول مدة العذاب، بخلاف ما إذا كان الجلد رقيق كحال البشر الآن؛ فإنه سرعان ما يتساقط من شدة النار، مع الأخذ في الاعتبار أن نار الآخرة أشد من نار الدنيا بسبعين مرة

وهذه الجلود الغليظة كلما أكلتها النار تبدَّلت وتغيَّرت

كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً} [النساء:٥٦]

- والحكمة في تبديل الجلود دون غيرها من أعضاء الجسم:

أن العلم الحديث اكتشف أن مراكز الإحساس تكون بالجلد، وهذه الحقيقة العلمية قد أخبر عنها القرآن منذ أكثر من ألف عام- كما في الآية السابقة، فكلما تساقطت الجلود من لفح النار ولظاها، بدَّلَها الله بجلود غيرها؛ ليذوقوا العذاب ويشعروا بالألم.

ومعلوم لدينا أن الجلد يحيط بجسد الإنسان كله، فإذا كان المحترق هو الجلد والذي يحتوي على الخلايا العصبية، ومراكز الإحساس؛ فإن كل خلية في الجسد تتألم وتتعذب.

اللهم إنا نسألك الجَنَّة ونعوذ بك من النار

---

(١) أي جبار من جبابرة البشر مِمَّن كان في القرون الأولى، فقد كانوا أعظم خلقاً، وأطول ذراعاً من الناس اليوم"، - وقال المنذري كما في "تحفة الأحوذي"(٣٧٢/٦): "الجبار ملك باليمن له ذراع معروف المقدار، وقال البيهقي: أراد التهويل، أي بلفظ الجبار، ويحتمل إرادة جبار من الجبابرة" (فيض القدير:٥/٥٥٤)

٧- السحب في النار على الوجه:

قال تعالى: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ{٤٧} يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ}
[القمر: ٤٧-٤٨]

ويسحبون في النار مقيدون بالقيود والسلاسل والأغلال، وهذا فيه ما فيه من التنكيل والإهانة والعذاب، قال تعالى: {... فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ{٧٠} إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ{٧١} فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ}
[غافر: ٧٠-٧٢]

قال قتادة: "يسحبون مرة في النار، وفي الحميم مرة" (التخويف من النار لابن رجب ص١٤٧)

٨- اندلاق الأمعاء في النار:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

"يجاء بالرجل يوم القيامة، فيُلقَى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان، ما شأنك، أليس كنت تأمرنا بالمعروف، وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه".

- وأخرج الإمام مسلم من حديث جابر ﷺ في حديث طويل وفيه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

"..... ورأيت أبا ثمامة عمرو بن مالك يَجُرُّ قُصْبَهُ في النار [1]، وإنهم كانوا يقولون: إن الشمس والقمر لا يخسفان إلا لموت عظيم، وإنهما آيتان من آيات الله يريكُمُوهُما؛ فإذا خسفا فصلُّوا حتى ينجلي"

- وفي "الصحيحين" من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

"رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يَجُرُّ قُصْبَهُ في النار، وكان أول من سيب السوائب [2]"

---

(١) يَجُرُّ قُصْبَهُ: القصب هي الأمعاء.

(٢) سيب السوائب: تشريع سَنَّه عمرو للعرب، أنه حرَّم ما أحل الله تعالى، فقد حرَّم أنواع من الأنعام بأسباب لم ينزل الله بها من سلطان، كان يمنع ذبح تلك الحيوانات وحلبها والركوب عليها، قال سعيد بن المسيب: البحيرة التي يمنع درها للطواغيت، ولا يحلبها أحد من الناس، والسائبة التي يُسَيِّبُونها لآلهتهم، فلا يحمل عليها شيء.

٩- أنهم يصرخون في النار من شدة العذاب ولا يجدون مَن يزيل شكواهم أو ينصرهم:
قال تعالى: {حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ {٦٤} لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ} [المؤمنون:٦٤-٦٥]

يَجْأَرُونَ: أي يعرضون مستغيثين بربهم.

١٠- أنهم يطوفون بين جهنم وبين حميم آن-وهو الماء الذي انتهت حرارته:
قال تعالى: {هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ{٤٣} يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ} [الرحمن:٤٣-٤٤]

١١- أن من أهل النار مَن يُلْقَى في مكان ضيق لا يتمكن فيه من الحركة لضيقه:
قال تعالى: {وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً} [الفرقان:١٣]
قال كعب: "إن في جهنم تنانير ضيقة كضيق زج رمح أحدكم، ثم يطبق على أناس بأعمالهم"
وقد مر بنا قوله تعالى: {إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ{٨} فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ} [الهمزة:٨-٩]
وجاء من جملة تفسير "العُمُد الممددة": " أنها عمد من حديد ملتهبة، يوضع فيها أهل الكفر فتحيط بهم من كل جانب – نعوذ بالله من الخذلان.

١٢- تسليط الحيَّات والعقارب على أهل النار:
فقد أخرج الإمام أحمد وابن حبان وصححه من حديث عبد الله بن الحارث ﷺ أن النبي – صلى الله عليه وسلم – :
"إن في النار حيَّات كأمثال أعناق البخت(١) تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً، وإن في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة (٢) تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين سنة"
(الصحيحة: ١٤٦٥)

وكذلك هناك عقارب أنيابها كالنخل الطِّوال
يقول عبد الله بن مسعود ﷺ في قوله تعالى: {زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ}[النحل:٨٨]، "قال: "زيدوا عقارب أنيابها كالنخل الطِّوال" (قال الهيثمي في "المجمع": "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح)
– أورد ابن رجب – رحمه الله – في كتابه "التخويف من النار" عن ابن مسعود ﷺ في قوله:
{قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ} [ص:٦١]، قال: "حيَّات وأفاعي"

---
(١) البخت: وحدها "البختية"، وهي الناقة طويلة العنق ذات السنامين.
(٢) الموكفة: المحملة.

- وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:
"مَن آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته؛ مُثِّلَ له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني شدقه- ثم يقول: أنا مالك أنا كذلك، ثم تلا:
{وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [آل عمران:١٨٠]"

١٣- إرهاق أهل النار بصعود جبل من نار في جهنم:
وقال تعالى: {وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً} [الجن:١٧]
وقال تعالى: {سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً} [المدثر:١٧]
أي سنترل به عذاباً شاقاً، يرهقه ولا يطيقه، فيكون حاله كحال مَن يكلف صعود جبل وعر، وقيل: "إنه على الحقيقة، أي سيكلفه الله يوم القيامة بصعود جبل من نار في جهنم.

١٤- أنهم جثاة على الركب:
قال تعالى:{وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً} [مريم:٧٢]

١٥- أن لهم في جهنم زفير،لو نفخ به على أهل الأرض لأحرقهم:
قال تعالى:{لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ} [الأنبياء:١٠٠]
- وأخرج البزار وأبو يعلى عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:
"لو كان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون، وفيهم رجل من أهل النار فتنفَّس؛ فأصابهم؛ لأحرق مَن في المسجد أو يزيدون" (السلسلة الصحيحة: ٢٥٠٩)

وكما أن لهم زفير فلهم فيها أيضاً شهيق
قال تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ} [هود:١٠٦]
قال الزجاج - رحمه الله -: "الزفير من شدة الأنين وهو المرتفع جداً، وقيل الزفير:" ترديد النَّفَس في الصدر من شدة الخوف حتى تنتفخ منه الأضلاع، والشهيق: هو النَّفَس الطويل الممتد، أو رد النفس إلى الصدر".

١٦- مسخ البعض بأشكال قبيحة:

دليل ذلك ما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

"يَلْقَي إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول: إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، فأَيّ خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرَّمتُ الجنَّة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيخ [(١)] متلطخ؛ فيؤخذ بقوائمه، فيلقى في النار"

١٧- أن أهل النار لا يموتون فيها، ولا يُخَفَّف عنهم العذاب، ولا هم بمخرجين:

- أما كونهم لا يموتون فيها:

فقد جاءت الآيات القرآنية تدل على هذا منها:-

قوله تعالى: {لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا} [فاطر:٣٦]

وقوله: {لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى} [طه:٧٤]

وقوله: {وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ }[إبراهيم:١٧]

- قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: "أي يألم له جميع بدنه وجوارحه وأعضائه"

- وقال ميمون بن مهران: "من كل عظم وعرق وعصب، وقال عكرمة: "حتى من أطراف شعره".

- وقد بيَّن النبي – صلى الله عليه وسلم – في الحديث الصحيح:

"أن الموت يجاء به يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح، وإذا ذبح الموت حصل اليقين بأنه لا موت، كما قال – رحمه الله –: "يا أهل الجنَّة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت" (والحديث عند البخاري من حديث ابن عمر – رضي الله عنه–)

(١) الذيخ: هو ذكر الضبع، ولا يقال له: ذيخ إلا إذا كان كثير الشعر.(فتح الباري)

- أما عدم تخفيف العذاب عنهما:

فقد جاءت الآيات تدل على أنه لا يخفف العذاب عن أهل النار

قال تعالى: {وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ} [فاطر:٣٦]

وقوله: {فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً} [النبأ:٣٠]

وقوله: {لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} [الزخرف:٧٥]

وقوله: {إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً} [الفرقان:٦٥]

وقوله: {فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً} [الفرقان:٧٧]

وقوله: {فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ} [النحل:٨٥]

وقوله: {وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ} [المائدة:٣٧]

- أما عدم إخراجهم من النار:

فيدل عليه قوله تعالى: {وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} [البقرة:١٦٧]
قوله تعالى: {كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا} [الحج:٢٢]
وقوله تعالى: {وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ}[المائدة:٣٧]
وعدم الإخراج من النار يكون في حق الكفار والمشركين، أما عصاة الموحدين فإنهم يخرجون من النار بإذن رب العالمين-

١٨- ومن أعظم صور العذاب على أهل النار: أنهم ينسون فيها:

قال تعالى: {فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَـذَا وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} [الأعراف:٥١]

- وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

"يُؤتى بالعبد يوم القيامة، فيقال له: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً، وسخَّرتُ لك الأنعام والحرثَ، وتركتك ترأسُ وتَرْبَعُ، فكنت تظنَّ أنك ملاقِي يومك هذا؟ فيقول: لا، فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتني" (صحيح الجامع: ٧٩٩٧)

- ثانياً: العذاب المعنوي:

ومن صور العذاب المعنوي:

١- تبكيت الملائكة لهم عند دخولهم النار:

قال تعالى: {تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ{٨} قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ} [الملك:٨-٩]

٢- سخرية المؤمنين منهم يوم القيامة:

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ{٢٩} وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ{٣٠} وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ{٣١} وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاء لَضَالُّونَ{٣٢} وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ{٣٣} فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ{٣٤} عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ{٣٥} هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [المطففين:٢٩-٣٦]

- يقول القرطبي - رحمه الله - في "تفسيره"(١٩/٢٦٨): "يقال لأهل النار وهم في النار: "اخرجوا، فتفتح لهم أبواب النار، فإذا رأوها قد فتحت؛ أقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك، فإذا انتهوا إلى أبوابها أغلقت دونهم، فيضحك منهم المؤمنون"-

وقوله تعالى: {هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}أي هل جوزي الكفار في الآخرة بما كانوا يفعلونه بالمؤمنين من السخرية والاستهزاء؟ والجواب: نعم. لقوا جزاء السخرية والاستهزاء"

٣- أن الشيطان يتبرأ من أهل النار وهم الذين أطاعوه في الدنيا وخالفوا أوامر الله:

فالشيطان في الدنيا كان يدعو الناس إلى النار فأجابه الكثير، كما قال تعالى:

{أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} [لقمان:٢١]

وقال تعالى عن الشيطان: {إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر:٦]

وعندما يدخل الناس النار مع الشيطان الذي دعاهم إليها، يقف خطيباً فيهم، ويصور القرآن الكريم هذا المشهد المخزي، وقال الشيطان: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [إبراهيم:٢٢]

٤- عدم المواساة:

من المعلوم في الدنيا أن صاحب البلاء إذا رأى غيره ممن ابتلي بمصيبته فإن ذلك يُخفِّف عنه حزنه، وهذا ما قالته الخنساء عندما فقدت أخاها صخراً فقالت:

ولولا كثرة الباكين حولي   علـى إخوانهم لقتلت نفسي

ومـا يبكون مثل أخي   ولكن أعزي النفس منه بالتأسي

فهذا في الدنيا، أما في الآخرة فإن الله حرم أهل النار هذه المواساة، فلا يواسي بعضهم بعضاً، ولا يُخفِّف بعضهم على العذاب شدة المعاناة والآلام، فالكل مشترك في العذاب، قال تعالى:

{وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ}   [الزخرف:٣٩]

٥- تحقير أهل النار وإهانتهم:

قال تعالى: { كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ{٤} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ{٥} نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ{٦} الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ{٧} إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ{٨} فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ}   [الهمزة:٤-٩]

فقوله: {لَيُنبَذَنَّ} والنبذ يستخدم للتحقير، والمهانة، والذل، يقال: "فلان منبوذ"، أي مهان محتقر، لا نصير له ولا معز، فهذا إضافة لعذابهم البدني بالنار، فإنهم يعذبون عذابا نفسياً بالمهانة والتحقير-

٦- أنهم يُمْنَعُون من الكلام:

قال محمد بن كعب: "لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله ﷻ في أربعة؛ فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبداً، يقولون:{رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ}[غافر:١١]

فيقول الله تعالى مجيباً لهم: {ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ} [غافر:١٢]

ثم يقولون: {رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ...}[إبراهيم:٤٤]

فيجيبهم الله تعالى: {... أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ }[إبراهيم:٤٤]،

فيقولون: {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ... } فيجيبهم الله تعالى:

{...أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ} [فاطر:٣٧]

ثم يقولون:{قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ{١٠٦} رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ}

فيجيبهم الله تعالى: {قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ}   [المؤمنون:١٠٦- ١٠٨]

فلا يتكلمون بعدها أبداً وذلك غاية شدة العذاب-

- قال مالك بن أنس ﷺ: "قال زيد بن أسلم في قوله تعالى:
{سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ} [إبراهيم:٢١]، قال: "صبروا مائة سنة، ثم جزعوا مائة سنة، ثم صبروا مائة سنة، ثم قالوا: {سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ} [إبراهيم:٢١]

٧- أنهم يرون الذين كانوا يسخرون منهم ويستهزئون بهم من أهل الإيمان؛ قد فازوا بالرضا والرضوان؛ ونجوا من غضب الملك الديَّان:
قال تعالى: {وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ{٦٢} أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ} [ص:٦٢-٦٣]

٨- أنهم يلعن بعضهم بعضاً، ويسُبُّ بعضهم بعضاً:
قال تعالى: {كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا} [الأعراف:٣٨]
ويتبرأ الكبراء من المستضعفين ويقول المستضعفون، كما قال تعالى: {لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أعمالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} [البقرة:١٦٧]

٩- قرن أهل النار بمعبوداتهم وبشياطينهم في جهنم:
كان الكفار والمشركون في الدنيا يعظمون الآلهة التي يعبدونها من دون الله، ويدافعون عنها، ويبذلون في سبيل ذلك النفس والمال، وفي يوم القيامة يُدْخِل الحق - رضي الله عنها- تلك الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله النار، إهانة لعابديها وإذلالاً لهم، ليعلموا أنهم كانوا ضالين، يعبدون ما لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً
{إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ {٩٨} لَوْ كَانَ هَؤُلَاء آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ} [الأنبياء:٩٨-٩٩]، وقال تعالى: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ{٢٢} مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ} [الصافات:٢٢-٢٣]
- يقول ابن رجب - رحمه الله - كما في كتابه "التخويف من النار"(ص١٠٥):
"لما عبد الكفار الآلهة من دون الله، واعتقدوا أنها تشفع لهم عند الله، وتقربهم إليه، عوقبوا بأن جعلت معهم في النار إهانة لهم وإذلالاً، ونكاية لهم وإبلاغاً في حسرتهم وندامتهم، فإن الإنسان إذا قرن في العذاب بمَن كان سبب عذابه؛ كان أشد في ألمه وحسرته.
ومن أجل ذلك يقذف في يوم القيامة بالشمس والقمر في النار، ليكونا ممَّا توقد به النار، تبكيتاً للظالمين الذين كانوا يعبدونها من دون الله، ففي الحديث الذي رواه البيهقي في "شعب الإيمان" وكذا رواه البزار أن الحبيب المختار - رحمه الله - قال: "الشمس والقمر مكوران في النار"
- يقول القرطبي - رحمه الله -: "وإنما يجمعان في جهنم، لأنهما قد عُبِدَا من دون الله، لا تكون النار عذاباً لهما،

لأنهما جماد، وإنما يفعل ذلك بهما زيادة في تبكيت الكافرين وحسرتهم، هكذا قال بعض أهل العلم"
ولهذا المعنى يقرن الكفار بشياطينهم ليكون أشد لعذابهم: {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ{٣٦} وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ{٣٧} حَتَّى إِذَا جَاءنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ{٣٨} وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ}[الزخرف:٣٦-٣٩].اهـ (الجنَّة والنار لعمر سليمان الأشقر – رحمه الله – بتصرف)

– ونقل ابن كثير – رحمه الله – في "تفسيره" عن سعيد الجريري أنه قال في الآيات السابقة:

"بلغنا أن الكافر إذا بعث من قبره يوم القيامة شفع بيده شيطان فلم يفارقه حتى يصيرهما الله – تبارك وتعالى – إلى النار، فذلك حين يقول: {يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ }[الزخرف:٣٨]

١٠– من صورِ العذاب المعنوي: أنهم يرون مكانهم في الجنَّة لو كانوا أحسنوا في الدنيا ويعرض عليهم بكرة وعشياً:
فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:
"لا يدخل النار أحدٌ إلا أُرِيَ مقعده من الجنَّة لو أحسن، ليكون عليه حسرة"

١١– من أعظم صور العذاب المعنوي لأهل النار: حرمانهم من رؤية وجه الله الكريم:
وهي صورة من صور العذاب لأهل النار، بل هي من أشد العذاب؛ حيث يحرمون هذه اللذة والتي هي ألذ النعيم في جنَّة رب العالمين، يقول ذو النون: "والله ما طابت الجنَّة إلا برؤية وجهه"، لكن أهل النار حجبوا عن هذه المتعة، قال تعالى عن أهل النار: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} [المطففين:١٥]
وكذلك يُحْرَمون من تكليمه لهم، إلا كلاماً يزيدهم عذاباً، ويحرمون من تزكيته لهم وتطهيرهم
قال تعالى: {وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [آل عمران:٧٧]
– وجاء في "حلية الأولياء"(١/١) عن أبي عمران الجوني – رحمه الله – أنه قال: "لم ينظر الله تعالى إلى إنسان قط إلا رحمه، ولو نظر إلى أهل النار لرحمهم، ولكنه قضى أنه لا ينظر إليهم"-

خــلاصـــة مـــاسبق

ترى أخي الحبيب أن الناس في الدنيا مختلفين: فمنهم المؤمن والكافر، ومنهم الصالح والطالح، والكل في الظاهر سواء، يأكلون ويشربون وينامون ويعملون.

لكن على فراش الموت لا يستويان، فصنف مقرّبٌ مصان وهم أهل الإيمان، وصنف مُبعَد مهان وهم أهل الكفران والعصيان، ففي هذه اللحظة يفترق الطريقان، ويظهر الفرقان ويتمايز الفريقان فيصبحان صنفان...

● صنف تأتيه الملائكة في صورة حسنة وتُسلِّم عليه عند خروج روحه، وتناديه بأحسن أسمائه التي كان يُنادَى بها في الدنيا، وتُبَشِّرُه بالروح والريحان، وجنة الرحمن، ولقاء الرب وهو غير غضبان.

– وصنف آخر تأتيه الملائكة في صورة مخيفة وتُبَشِّرُه بما يسوءه، وتضربه على وجهه ودبره بمقامع من حديد، وتقبض روحه في مسوح.

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

● صنف يقال له على فراش الموت: "يا أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، وتخرج روحه كما تسيل القطرة من فِيّ السقاء، وتخرج كأطيب ريح مسك وُجِدَت على وجه الأرض، وتقبضها الملائكة في حريرة، ويصعدون بها إلى السماء ويفتح لها أبواب السماء.

– وصنف يقال له: "يا أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخطٍ من الله وغضب، فتتفرَّق روحه في جسده؛ فتُنْتَزَع كما يُنْتَزَع السفود من الصوف المبلول، فتتقطَّع معها العروق والعصب، وتخرج كأنتن جيفة وُجِدَت على وجه الأرض، ولا يفتح له أبواب السماء.

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

● صنف عندما يُحْمَل على الأعناق يقول: "قدموني قدموني لما يرى من السعادة والنعيم الذي ينتظره.

– وصنف يقول: "يا ويلها أين تذهبون بها، لما يرى من الشقاء والعذاب الذي ينتظره".

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

● صنف يقول له القبر عندما يدفن: "مرحباً وأهلاً، أمَا إن كنت لأحب مَن يمشي على ظهري إليّ، فإذا وليتك اليوم فسترى صنيعي بك"، فيتسع له في قبره مد البصر.

– وصنف يقول له القبر عندما يدفن: "لا مرحباً ولا أهلاً، أمَا إن كنت لأبغض مَن يمشي على ظهري إليّ، فإذا وليتك اليوم وصرت إليّ، فسترى صنيعي بك، فيلتئم عليه حتى تختلف أضلاعه.

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

- وصنف يأتيه منكر ونكير ويسألانه مَن ربك؟ فيقول: ربي الله، ما دينك؟ فيقول: ديني الاسلام، ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟، فيقول: هو محمد – رحمه الله –، فيسمع أن صَدَقَ عبدي فأفرشوه من الجنَّة وألبسوه من الجنَّة، فيُفتَح له باب الجَنَّة ويأتيه من نعيمها.

– وصنف يسألانه الملكان: مَن ربك؟ مادينك؟ ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ في كل مرة يقول: ها... ها لا أدري، فيقال له: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطرقة من حديد لو ضرب بها جبل لصار تراباً، ويُفتَح له باب في النار، ويأتيه من حرِّها وسمومها.

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

- صنف يُنوّر له في قبره، ويُفتَح له فيه باب إلى الجَنَّة، ليأتيه من نعيمها وزهرتها، ويدخل عليه عمله متمثِّلاً في صورة رجل أبيض الوجه، حسن الثياب، طيب الرائحة ويبشره بما يحب.

– وصنف قبره عليه ظلمة، ويُفتَح له باب من النار ليأتيه من حرِّها وسمومها، ويدخل عليه عمله متمثلاً في صورة رجل أسود الوجه، قبيح الثياب، نتن الرائحة، ويبشره بما يسوءه.

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

- وعندما نخرج من قبورنا، ونقوم جميعاً لرب العالمين، فهناك صنف يخرج من قبره طيب النفس نشيط، يشتاق للقاء ربه.

– وهناك صنف آخر يقوم خبيث النفس كسلان، كالمصرع الذي يتخبَّطه الشيطان من المسِّ، ولا يحب لقاء ربه.

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

- صنف يحشر يوم القيامة وهو راكب على النجائب، آمن مطمئن، أبيض الوجه، وقد أظلَّه الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظلّه، ويقف في أرض المحشر كمقدار ما بين صلاتي الظهر والعصر، ويأكل في أرض المحشر ويشرب.

– وصنف آخر يحشَر يوم القيامة على وجهه أعمى وأبكم وأصم، أسود الوجه عابس، تعلوه غبرة، والشمس فوق رأسه بقدر ميل أو ميلين، ويكون في عرق بحسب ذنبه، ويقف في أرض المحشر خمسين ألف سنة بلا جلوس ولا طعام ولا شراب.

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

• صنف يأخذ كتابه بيمينه، فيفرح فرحاً شديداً، ويقول لكل من لقيه: {هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ} [الحاقة:١٩]، وينعم بحياة طيبة راضية.

– وصنف آخر يأخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره، ويقول: {يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ{٢٥} وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ{٢٦} يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ{٢٧}[الحاقة:٢٥-٢٧]، فيتمنَّى موتة لا حياة بعدها، ثم يُأمَر به إلى النار مغلولاً. فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

• صنف ثَقَلت موازينه فهو في عيشة راضية، وجنة عالية، قطوفها دانية.

– وصنف خفَّت موازينه فيأُخَذ به إلى نار حامية.

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

• صنف يشرب في أرض المحشر من يد الحبيب – رحمه الله – شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

– وصنف آخر تحجزهم الملائكة وتمنعهم من الوصول إلى الحوض والشرب من يد النبي – صلى الله عليه وسلم – .

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

• صنف يعطيه الله نوراً، ويمرُّ على الصراط كالطرف، أو كلمح البرق، أو كالريح، أو كأجاويد الخيل، أو كالركاب.

– وصنف يتخبَّط في الظلمات ليس له من نور، وتأخذه الكلاليب، والخطاطيف وتلقي به في نار جهنم.

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

• صنف أدخله الله الجَنَّة وأعدَّ له فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

– وصنف أدخله الله النار وأعدَّ له فيها من النكال والعذاب ما يشيب من هوله الولدان.

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

• أما عن الطعام: صنف يأكل في الجَنَّة الفاكهة بجميع أنواعها، وهذه الفاكهة لا مقطوعة ولا ممنوعة، تدنو وتقترب منهم، ويأكلون كذلك اللحم بأنواعه، وكذا يأكلون زيادة كبد الحوت وهو أول طعام أهل الجَنَّة.

– وصنف طعامه الزَّقُّوم يغلي في البطون كغلي الحميم، وكذا يأكلون الضريع وهو نبات ذو شوك منتن، ويأكلون كذلك الغسلين وهو دم وصديد أهل النار.

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

• أما عن الشراب: فصنف يشرب الماء الغير آسن، ويشرب اللبن الذي لم يتغير طعمه، والخمر الخالية من الآفات والعيوب، فهي لذة للشاربين، {يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ{١٧} بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ{١٨} لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ} [الواقعة:١٧-١٩]، ويشربون كذلك الكافور، والزنجبيل، والتسنيم.

– وصنف آخر شرابه: المهل وبئس الشراب، فهو يشوي الوجوه من شدة حرِّه، ويشربون الصديد وهو عصارة أهل النار، وكذا الحميم وهو الماء المغلي الذي قد بلغ أعلى درجات الغليان وتناهى حرُّه، ويشربون كذلك الغساق، وهو الزمهرير البارد الذي يحرق من برده.

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

• أما عن الملبس: فصنف يلبس السندس: وهو ما رقَّ من الديباج والحرير، والاستبرق: وهو ما غلظ منه، ولونه أخضر، وهو أحسن ألوان الحرير، فجمع الله لهم حسن المنظر، والتذاذ العين به.

– وصنف{سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ }و{قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ}

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

• أما عن حليهم: فصنف يتحلّون بأساور من ذهب، وفضة، ولؤلؤ، كما قال تعالى: {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} [فاطر:٣٣]، ويلبس تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها.

– وصنف آخر أعدَّ الله له السلاسل والأغلال والقبور، تُجمَع يده إلى عنقه، وهذه القيود لون من ألوان العذاب، فهي تُقيِّد الحركة، وترهق الجسد، وتذل النفس.

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

• أما عن مساكنهم: فصنف يسكن في القصور والبيوت والمنازل، وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم – :
"خلق الله الجَنَّة لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وملاطها المسك، وقال لها: تكلمي، فقالت قد أفلح المؤمنون، فقالت الملائكة: طوبى لك مترل الملوك"، وكذلك يسكنون خيمة مجوفة من لؤلؤ، طولها ستون ميلاً، وعرضها كذلك، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً، وله في الجَنَّة مثل الدنيا عشر مرات، وهذا يدل على سعة ملكه.

- وهناك صنف آخر يسكن كذلك في بيوت، ولكنها بيوت من نار، ويُحبَسُون في سجن ضيق يسمى (بُولَس)، ويلقى بهم في أودية مهلكة كـــــ (غي وسقر وويل)، ومع كون أهل الجَنَّة لهم مثل الدنيا عشر مرات، فإن من أهل النار مَن يلقى في مكان ضيق لا يستطيع منه الحركة، كما قال تعالى:

{وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً} [الفرقان:١٣]

● وأما عن فرشهم: فصنف تفرش لهم الأرائك والسُّرُر، متكئين عليها، يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب.

- وصنف لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش، فهم يفترشون النار، ويلتحفون بها، فالنار محدقة بهم من كل جانب، قال تعالى: {لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ}

[الزمر:١٦]

● أما عن ظلهم: فصنف يكون في ظلِّ الله، يوم لا ظلَّ إلا ظلّه، وهذا الظلُّ يمنح صاحبه البرد والطمأنينه والراحة.

- وصنف تصهره الشمس، فليس له الظلُّ الذي يحميه من حرِّها، لكن له ظل من يحموم، يزيده عذاباً فوق عذابه، كما قال تعالى: {وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ{٤٣} لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ} [الواقعة:٤٣-٤٤]

● صنف حوله الحور العين، مشغول بجمــــاعها، والاستمتــــاع بالنظر إليها، وقد قــــال النبي - صلى الله عليه وسلم - عنهــــا

كما عند البخاري: "ولو أن امرأة من أهل الجَنَّة اطَّلعت على أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً، ولنصيفها[(١)] على رأسها خير من الدنيا وما فيها".

فإذا كان الخمار خيراً من الدنيا وما فيها، فما بالك بالتي تلبس الخمار؟!.

وقد قال الله تعالى عن نساء أهل الجَنَّة: {وَحُورٌ عِينٌ{٢٢} كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ} [الواقعة:٢٢-٢٣]

- وصنف آخر من الناس حوله الحيَّات والأفاعي والعقارب تخدشه وتلسعه، كما جاء في "مسند الإمام أحمد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "إن في النار حيَّات كأمثال أعناق البخت[(٢)] تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً، وإن في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة [(٣)] تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين سنة" (الصحيحة: ١٤٦٥)

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

(١) ولنصيفها: النصيف هو الخمار.

(٢) البخت: وحدها "البختية"، وهي الناقة طويلة العنق ذات السنامين.

(٣) الموكفة: المحملة.

● صنف لا يسمع في الجَنَّة ما يؤذيه، ويتنعم بما تلذ الأذن سماعه: من تسبيح الملائكة، وسماع داود عليه السلام وهو يمجِّدُ رب العالمين، وغناء الحور العين، بل هناك سماع أعلى من هذا كله وهو سماع القرآن من الرحمن سبحانه وتعالى.

– وصنف لا يسمع إلا ما يؤذيه من صراخ ومن مخاصمة ولعن، كما قال تعالى:
{كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا}[الأعراف:٣٨]، فيلعن بعضهم بعضاً، وكذلك يرجع بعضهم إلى بعض القول، ويتبرأ بعضهم من بعضٍ، فلا تسمع إلا صراخاً وعويلاً وأهاتٍ، والدعاء بالويل والثبور.

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

● وصنف يقول لهم رب العزة: "هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا، وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: أيّ شيء أفضل من ذلك؟، فيقول: أحلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً".

– وصنف آخر يقول لهم: "اخسئوا فيها ولا تكلمون"، ولا يرضى عنهم، ويحل عليهم سخطه وعذابه.

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

● صنف يرزقه الله تعالى أعلى الكرمات، وأفضل العطيَّات، وأسمى الهبات، وأقصى الأمنيات، وهي الغاية التي لا يتجاوز بعدها، وهي المنتهى الذي ليس بعده شيء، وهي المتعة واللذة والنعيم الذي يتضاءل عنده أي نعيم، وأي لذة، ألا وهي رؤية وجه الله الكريم، فما أُعطي أهل الجَنَّة شيئاً أحب إليهم من النظر إلى الله تعالى.

– وصنف حُرِمَ لذة النظر إلى وجه الكريم ومُنعَ من هذا النعيم، قال تعالى عن هذا الصنف:
{كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} [المطففين:١٥]، فوالله ما تعذّب أهل النار بعذاب أشد من حجبهم عن رؤية وجه الله عز وجل.

فأَيُّ الصِنْفَيْن تُحبُّ أنْ تَكُوْن؟!

● فالإنسان في هذه الحياة الدنيا يستطيع أن يختار من أي الصنفين يحب أن يكون؟، لكن بعد الموت لا اختيار، فلا هو إلى دنياه عائد ولا في حسناته زائد، فلا تُؤْثِر أخي الحبيب الفاني على الباقي، والنفيس على الخسيس، والدنيا على الآخرة، فلكل منهما بنون، فكُنْ من أبناء الآخرة، ولا تكن من أبناء الدنيا؛ فتسلم وتغنم.

الموت بابٌ وكلُّ الناس داخله	يا ليت شعري بعد الموت ما الدار؟
الدار جنةُ خلدٍ إن عملت بما	يرضي الإلــه وإن خالفت.. فالنار
هما محلان ما للناس غيرهما	فاختر لنفسك أي الدار تشاء

أخي في الله... أعتذر إن كان في كلامي تخويف أو تعنيف، ولكن الأمر كما قيل للحسن البصري: "يا أبا سعيد كيف نصنع؟ نجالس أقواماً يُخوِّفُونا، حتى تكاد قلوبنا أن تطير، فقال: والله إنك إن تخالط أقواماً يُخوِّفُونك فى الدنيا حتى يدركك الأمن فى الآخرة، خيرٌ لك من أن تصحب أقواماً يُأَمِّنُوك فى الدنيا حتى يدركك الخوف فى الآخرة".
(أخرجه أبو نعيم فى "الحلية": ٢/١٥٠)

- وفي الحديث الذي أخرجه ابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي قال - رحمه الله -:
قال الله تعالى: "وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين، إذا خافني في الدنيا امنته يوم القيامة، وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة"

● وأخيراً أختمُ بهذا الكلام القيم لابن القيم - رحمه الله - حيث قال:
"ولما علم الموفقون ما خُلقوا له وما أريد بإيجادهم رفعوا رءوسهم، فإذا علم الجنَّة قد رُفع لهم فشمروا إليه، وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم فاستقاموا عليه، ورأوا من أعظم الغبن بيع ما لاعين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، في أبدٍ لا يزول، ولا ينفذ بصبابة عيش، وإنما هو كأضغاث أحلام، أو كطيف زار في المنام، مشوب بالنَّغَص[١]، ممزوج بالغُصَص[٢]، وإن أضحك قليلاً أبكى كثيراً، وإن سرَّ يوماً أحزن شهوراً، آلامه تزيد على لذاته، وأحزانه أضعاف مسراته، أوله مخاوف وآخره متالف، فيا عجباً من سفيه في صورة حليم، ومعتوه في مسلاخ عاقل، آثر الحظ الفاني الخسيس، على الحظ الباقي، وباع جنّةً عرضها السموات والأرض، بسجن ضيق بين أرباب العاهات، والبليات، ومساكن طيبة في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، بأعطان[٣] ضيقة آخرها الخراب والبوار، وأبكاراً عرباً أتراباً كأنهن الياقوت والمرجان، بقذرات دنسات سيئات الأخلاق مسافحات أو متخذات أخدان، وحوراً مقصورات في الخيام بخبيثات مسيبات بين الأنام، وأنهاراً من خمرٍ لذة للشاربين، بشراب نجس مذهب للعقل مفسد للدنيا والدين، ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الدميم، وسماع الخطاب من الرحمن، بسماع المعازف والغناء والألحان، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد، بالجلوس في مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد، ونداء المنادي: يا أهل الجنَّة، إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا، وتحيوا فلا تموتوا، وتقيموا فلا تظعنوا[٤] له، وتشبوا فلا تهرموا بغناء المغنين.

---

(١) مشوب بالنَّغَص: مخلوط بما يكدر أمره.
(٢) ممزوج بالغُصَص: مخلوط بما يقف في حلقه فلا يكاد يسيغه، والمراد من ذلك كله أن لذات الحياة الدنيا ليست خالصة، وإنما يخالطها دائماً ما يكدرها.
(٣) أعطان: جمع "عَطِن" وهو مبرك الإبل، ومربض الغنم عند الماء.
(٤) تظعنوا: ظَعَنَ ظَعْناً وظُعُوناً: أي سار وارتحل.

وإنما يظهر الغبن الفاحش في هذا البيع يوم القيامة، وإنما يتبين سفه بائعه يوم الحسرة والندامة، إذا حشر المُتَّقُون إلى الرحمن وفداً، وسيق المجرمون إلى جهنم ورداً، ونادى المنادي على رءوس الأشهاد: ليعلمن أهل الموقف مَن أولى بالكرم من بين العباد، فلو توهَّم المتخلف عن هذه الفرقة ما أعد الله لهم من الإكرام، وادَّخر لهم من الفضل والإنعام، وما أخفي لهم من قرة أعين لم يقع على مثلها بصر، ولا سمعته أذن، ولا خطر على قلب بشر، لعلم أي بضاعة أضاع، وإنه لا خير له في حياته وهو معدود من سقط المتاع، وعلم أن القوم قد توسَّطوا ملكاً كبيراً لا تعتريه الآفات، ولا يلحقه الزوال، وفازوا بالنعيم المقيم في جوار الكبير المتعال.

فهم في روضات الجَنَّة يتقلَّبُون، وعلى أسِرَّتها تحت الحجال يجلسون، وعلى الفرش التي بطائنها من إستبرق يتَّكِئون، وبالحور العين يتنعَّمُون، وبأنواع الثمار يتفكَّهُون، ويطوف عليهم ولدان مخلدون، بأكواب وأباريق وكأس من معين، لا يُصدَّعون عنها ولا ينزفون، وفاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون، جزاءً بما كانوا يعملون، ويطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون، تالله لقد نودي عليها في سوق الكساد، فما قلَّب ولا استام[١] إلا أفراد من العباد، فواعجباً لها كيف نام طالبها؟ وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها، وكيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها؟ وكيف قرَّ للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها، وكيف قرت دونها أعين المشتاقين؟ وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين؟ وكيف صدفت[٢] عنها قلوب أكثر العالمين؟ وبأي شيء تعوضت عنها نفوس المُعْرِضِين؟

تنبيه:

ها قد انتهت هذه السلسلة المباركة (الدار الآخرة)، أسال الله لها القبول، وأودُّ أن أُنبِّهُ أن حقوق الطبع غير محفوظة، فمَن أراد أن يطبع هذه السلسلة على صورة كتاب لينتفع به المسلمون؛ فله ذلك، وله الأجر والثواب من الله تعالى، وأسال الله لي ولكم الإخلاص فى القول والعمل، وفى السر والعلن، وأن يجنبنا الرياء والزلل......آمين

(١) فما قلَّبَ ولا استام: فما نظر في هذه السلعة ولا سأل عن ثمنها، يعني الجَنَّة.

(٢) صدفت: أعرضت.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منَّا بقبول حسن، كما أسأله ﷻ أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعـــان على إخراجها ونشرها......إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّـــي ومـــن الشـــيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادعُ لي بالقبول والتوفيـــق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا | جلّ مَن لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.........

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك